

مَجَلة شَهرِيَّة اسْلاميَّة أَدبيَّة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٣)	جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ
العدد الخامس	مايو ٢٠١١ م

المشرف العام

عبد الله سعود بن عبد الوحيد

رئيس التحرير

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صوت الأمة** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراك باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراك السنوي:	في الهند (١٥٠) روبية، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخة (١٥) روبية

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

المنشور لا يعبر إلا عن رأي كاتبه

محتويات العدد

الافتتاحية

المملكة العربية السعودية
ورعايتها للعلماء المسلمين في الداخل والخارج

(٣) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

المبحث الثاني:

نتائج هذه الرعاية على العلماء

اتضح مما سبق أن علماء المملكة يعيشون في بلادهم حياة كريمة، ويتمتعون بكل تقدير واحترام وعناية واهتمام من جانب الدولة. فكلمتهم هناك مسموعة، ومكانتهم مرفوعة، وعلاقتهم مع أولي الأمر وطيدة، يعيشون حياة آمنة من الاصطدام مع الحكام، ذلك الاصطدام الذي نسمع عنه ونراه في معظم الدول الإسلامية أولدى الأقليات المسلمة. حيث تعتبر أنظمة تلك الدول علماءها تحديا لسلطتها، وتكون معهم في حالة صدام دائم، وتتخذ كافة الوسائل والحيل للتنكيل بهم وتنكيس رؤوسهم، وسحب البساط من تحت أقدامهم.

ومعلوم أن معظم الدول الإسلامية يتولى عرش حكمها قيادات علمانية أو بالتعبير الأدق قيادات لادينية، تؤمن بمبدأ فصل الدين عن الدولة، وتنظر الدين والمتدينين نظرة دونية، فلا يتوقع منها أنها تنصف مع أهل العلم والدين،وتعاملهم معاملة عادلة، فنرى أنها حتى في الوزارات والإدارات الخاصة بالشؤون الدينية تعين الأشخاص ذوي اتجاهات غير دينية، ولا يتسع صدرها لأهل العلم الديني حتى لتعيينهم في مناصب تعتبر خاصة بهم.

في مثل هذا الجو المقلق والصراع المستمر مع أرباب السلطة يصعب على أهل العلم التفرغ والطمأنينة لأداء دورهم تجاه الدعوة وتجاه العلم، لذلك نرى الباحثين في الشخصيات العلمية يخصصون في بحوثهم فصلا لدراسة العصر والبيئة اللتين عاش صاحب الترجمة فيهما ليحكموا ما إذا كان الوضع السياسي والاجتماعي مساعدا على العمل والإنتاج أم كان معوقا عن ذلك.

من هذا المنطق نرى أن الله سبحانه وتعالى يسر لعلماء المملكة من الأمن والهدوء والاستقرار والطمانينة مالم يتيسر لنظرائهم في البلدان الأخرى، وكل الحواجز والموانع مصروفة عنهم، وجميع التسهيلات ميسورة متوفرة لهم، وباب العمل والإفادة مفتوح أمامهم على مصراعيه.

إنهم في الحقيقة استفادوا من هذه الفرصة استفادة تامة، وقاموا بخدمة الدين والعلم والدعوة خدمة قلما نجد لها نظيرا لدى غيرهم، وإلقاء نظرة عابرة على التطور والازدهار الديني والعلمي بالمملكة وشعبها يعطينا فكرة واضحة عما قاموا ويقومون به من جهود جبارة في سبيل خدمة الدين والعلم والوطن.

ففي مجال الدعوة والإرشاد نراهم بذلوا جهودا مضنية منقطعة النظير، جهودا مؤثرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وكما يقال: "وبضدها تتبين الأشياء". فالناظر في أحوال المسلمين في الجزيرة العربية قبل العهد السعودي يعرف ما كانوا عليه من الشرك وعبادة القباب والأشجار والأحجار، ودعاء الأولياء ودعاء الجن والاستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم وجعلها في الزوايا من البيوت رجاء نجدتهم وخوف شرهم، والإقبال على الدنيا وشهواتها، والإقدام على الظلم وسفك الدماء ونهب الأموال وانتهاك الحرمات – إلى آخر ما كان معروفا عنهم.

فشمر العلماء عن ساعد الجد، وعزموا على تغيير الوضع، واتخذوا كافة الوسائل والسبل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

فهناك دروس المساجد وحلقات العلم منتشرة بين قرى المملكة ومدنها حتى في السجون، وهي ما بين أسبوعية ويومية تبث في الحاضرين الوعي الإسلامي وترشدهم في مختلف مسائل العقيدة والعبادات والمعاملات.

وهناك محاضرات وندوات ومؤتمرات ترفع بمستوى المشاركين العلمي والفكري وتربيهم على حب الاستطلاع واستزادة العلم وكشف الشبهات، وتعمل في تهذيب سلوكهم وتربية نفوسهم وتنمية مواهبهم.

وهناك مسابقات ذات جوائز قيمة, علمية ودينية، في حفظ القرآن الكريم، وحفظ الأحاديث النبوية، وحفظ المتون المختلفة، ومسابقات في مختلف فروع الثقافة الإسلامية، تهدف إلى توعية الجيل المسلم وتقوية صلته بالمصادر الدينية ورفع مستواه في شتى مجالات المعرفة.

وهناك حلقات تحفيظ القرآن الكريم منتشرة في ربوع المملكة، هدفها أن ينشأ النشء المسلم في رحاب كتاب الله ويقبل على حفظه وتلاوته وفقهه وتدبره، ويستنير بنوره ويستهدي بهدايته.

وهناك مكاتب تعاونية لتوعية الجاليات ساهرة على إبلاغ رسالة الله إلى العمالة الوافدة، نجحت في استقطاب عدد كبير من التائهين في ضلال الشرك والكفر والبدع إلى حظيرة الإسلام والتوحيد الخالص.

وهناك مجلات ورسائل أخذت على عاتقها دعوة الناس إلى الخير، وبث الثقة في نفوسهم، وتعويدهم على الفضائل والمكارم وتوجيههم في أمور الدين والدنيا والآخرة.

وهناك وسائل إعلام أخرى كالإذاعة والتلفاز والإنترنيت، عديد منها مخصصة للدعوة والإرشاد والتوجيه والتعليم والتربية.

إلى غير ذلك من عشرات الوسائل لإبلاغ دين الله إلى الخلق وللنهوض بمستواهم الديني والعلمي والفكري، وعلماء المملكة شيبها وشبابها هم القائمون بهذه الأعمال تحت رعاية ولاتهم، ولا شك أن نجاحهم في مهمتهم الدعوية والتربوية والعلمية منوط بعد الله عزوجل بوقوف رجال الدولة وراءهم، ودعمهم ومساندتهم. والمطلعون على جهود الدعاة الذين لم يتيسر لهم التفاهم مع حكامهم يرون محدودية نجاح دعوتهم، وكذلك يشاهدون العقبات والعراقيل التي تواجههم في هذا السبيل. وفي هذا يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

"ومعلوم أن الداعي إلى الله عزوجل إذا لم يكن لديه قوة تنصر الحق وتنفذه فسرعان ما تخبو دعوته وتنطفي شهرته، ثم يقل أنصاره..." [١]

ويلقي الشيخ ابن باز الضوء على ما حصل من النجاح الباهر لجهود دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده وتلاميذه وأنصاره إلى يومنا هذا, فيقول:

"...حتى التزم الناس بالطاعة, ودخلوا في دين الله، وهدموا ما عندهم من القباب، وأزالوا مالديهم من المساجد المبنية على القبور، وحكموا الشريعة ودانوا بها، وتركوا ما كانوا عليه من تحكيم سوالف الآباء والأجداد وقوانينهم، ورجعوا إلى الحق، وعمرت المساجد بالصلوات وحلقات العلم، وأديت الزكوات، وصام الناس رمضان، كما شرع الله عزوجل، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وساد الأمن في الأمصار والقرى والطرق والبوادي، ووقف البادية عندحدهم، ودخلوا في دين الله وقبلوا الحق ... وعمرت المساجد بتدريس الكتاب العظيم والسنة المطهرة والتاريخ الإسلامي والعلوم العربية النافعة، وصار الناس في مذاكرة وعلم وهدى ودعوة وإرشاد ... وظهر الحق وانتشر، وكبت

[١] الإمام محمد بن عبد الوهاب: دعوته وسيرته، للشيخ ابن باز، ص: ٤٠

الباطل وانقمع، وصار الناس في سيرة حسنة ومنهج قويم في أسواقهم وفي مساجدهم، في سائر أحوالهم، لاتعرف البدع بينهم، ولا يوجد في بلادهم الشرك، ولا تظهر المنكرات بينهم، بل من شاهد بلادهم وشاهد أحوالهم وما هم عليه، ذكر حال السلف الصالح وما كانوا عليه زمن النبي عليه الصلاة والسلام وزمن أصحابه وزمن أتباعه بإحسان في القرون المفضلة، رحمة الله عليهم."[١]

نعم، هذه حقيقة لا يجحدها إلا مكابر، فالغالب على أهل هذه البلاد التدين والالتزام، وقوة العقيدة، والتمسك بالسنن، وأمارات غلبة الدين على أحوالهم وعاداتهم واضحة، ونرى الواحد من عامة الناس من هذه البلاد يملك من صلابة في العقيدة واطلاع على أسياسيات الدين وعمل بأركان الإسلام ما نفقده عند آحاد المثقفين من البلاد الأخرى. ونرى في بلادنا أن العمال الهنود الذين قضوا فترة في المملكة بين أبنائها الموحدين المخلصين العاملين لما يرجعون إلى بلادهم نلمس أن آثار الخير والصلاح والالتزام بادية عليهم، وأن قلوبهم عامرة بالتوحيد والإيمان والعمل، كل ذلك من بركات هذا المجتمع الصالح المبارك الذي يسعى علماء المملكة للحفاظ على مقوماته ويواصلون جهودهم لتغذيته بالغذاء الروحي الإيماني حتى تبقى صلته بخالقه قوية وعطاؤه للخلق غير مجذوذ.

ولا ننسى - ونحن نتحدث عن نتائج رعاية المملكة لعلمائها - دور علماء السعودية في مجال البحث والتحقيق والتصنيف والتأليف، وهذا العمل أيضا - كما أسلفت - يطلب الجو الهادئ والاستقرار النفسي، وإذا تيسر مع هذا وذاك عناية رجال الحكم فهو نور على نور، وعلماء المملكة كانوا ولا يزالون مغبوطين بإحرازهم بالمجموع، فقدروه حق قدره، وانتهزوه لأداء دورهم المنشود، وشمروا عن ساعد الجد، وكابدوا المشاق، وصبروا وصابروا، وواصلوا الجهود، حتى أثروا المكتبة الإسلامية والأدبية بعطاءهم، ولم يثبتوا كفاءتهم فحسب في هذا الميدان، وإنما تميزوا بميزات أهلتهم لاستلام زمام القيادة.

ونظرة سريعة إلى إنجازاتهم العلمية تكشف أنها تمتاز بخصائص عديدة، من أهمها:

١- أنها متنوعة تستغرق معظم المجالات الدينية والأدبية واللغوية.

٢- تولي عناية خاصة بكتاب الله العزيز وبالسنة النبوية وبالعقيدة وبالفقه.

٣ - أنها تتصف بالموضوعية في البحث والتحقيق، والالتزام بالأصول العلمية، الحديثة منها والقديمة.

---

[١] الإمام محمد بن عبد الوهاب: دعوته وسيرته، للشيخ ابن باز، ص:٤٢ وما بعدها باختصار.

٤ - أنها تتصف بالبحث والتنقيب والتنقيح للفصل بين الغث والسمين والدخيل والأصيل.

٥- أنها تهتم بإحياء التراث وإخراجه وفق أحدث أصول البحث والتحقيق.

٦- أنها تستفيد من المناهج العلمية الحديثة النافعة، التي لا تتصادم مع ثوابت الشرع وأساسيات الدين.

٧- يغلب عليها الجدية والابتكار والأصالة والعمق والأمانة العلمية.

إلى غير ذلك من عشرات الخصائص التي تتطلب كل واحدة منها الإفراد بالبحث والتفصيل، وهذا المقام لا يسمح به.

وقد كتب الله لإنتاجات علماء المملكة القبول والانتشار في شتى أنحاء العالم، فنرى أن العلماء والباحثين في مشارق الأرض ومغاربها يكنون لها الاحترام والتقدير ويبدون ثقتهم بها، ويسعون لاقتنائها، وينقلونها إلى لغات بلادهم ومجتمعاتهم ليعم النفع بها.

أما جهودهم في نشر التعليم ومحو الأمية فحدث عنها ولاحرج، ومقارنة عابرة بين وضع أهل الجزيرة قبل العهد السعودي ووضعهم بعده تكشف لنا عن المساعي المبذولة لتغيير هذا الوضع، وإخراج المجتمع من ظلمات الجهل والظلم والشرك إلى نور العلم والعدل والإيمان. ولا يمكن اكتساب مثل هذا النجاح بين ليلة وضحاها، وإنما يحصل بطول النفس، وتحمل الأذى، وسهر الليالي، وسلوك مسالك الحكمة، وسير السلحفاة، والصبر والمصابرة، والعمل الدؤوب، والحلم والأناة، وعدم الاستعجال إلى قطع الثمار. بذلك كله وبما سواه من متطلبات الإصلاح والتعليم استطاع علماء الجزيرة أن يحدثوا الثورة ويقلبوا الوضع. ويقيموا مجتمعا واعيا بمسؤوليته نحو الدين والعلم.

إننا لانتحدث – فقط - عن الأرقام والإحصائيات لمراكز التعليم المنتشرة في أنحاء البلاد، وعن القفزات التي قفزتها الدولة في مجال التعليم، بل نتحدث مع هذا وذاك عن النقلة النفسية لعامة السكان أيضا. فبعد أن كان الظلم والبغي والنهب والقتل وكافة مظاهر الجهل سمة المجتمع قبل عهد الإصلاح، أصبح العدل والإيمان والتدين والمثالية في تطبيق أحكام الإسلام من سماته، وأصبحت ألسنة مسلمي العالم تتلذذ بذكر قصص ووقائع لمسلمي الجزيرة، تعدها نادرة وعظيمة في باب تطبيق الإسلام، بعد أن كانت هذه الألسنة تردد –متألمة - قصصهم في النهب وقطع الطريق والأعمال المحرمة في الدين.

(يتبع)

***

التوجيه الإسلامي

الشباب والتيارات المعاصرة

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

ما أكثر التيارات التي تعترض، وما أكثر المغريات الموجهة للشباب ذكورا وإناثا، وما ذلك إلا أن شباب اليوم يمرون بعقبات كأداء، وتحيط بهم تيارات أشد على عقولهم من الأعاصير، وتتجاذبهم أهواء ونزعات، أكثر مما أحاط بشباب الأمس، فهم أمانة في الأعناق، على كل قادر أن يساهم بالحلول المناسبة، خاصة وأن يوجه نحو شباب المسلمين إعلام متنوع: بالصورة المثيرة، والإغراء الذي يحرك المشاعر، وبالإعلام الرخيص الذي تدفعه القنوات وبعض الصحف، بطرق مختلفة: قنوات فضائية، وأفلام مفرية، وانترنت يجول بهم في أنحاء العالم، ليغوص في الثقافات الضحلة المثيرة، والأكاذيب المنمقة.

وغير هذا مما يقصدونه به، فتتجاذب الشاب نزعات تصرفه عما فيه خير، وتباعده عن الأمور المفيدة الجادة: لنفسه ولأمته. لأن شباب المسلمين خاصة، قد رُكّز نحوهم غزو متعمد، وهذه الوسائل تغذي بمغريات عديدة، تثير الغرائز، بقصد بلبلة أفكارهم ونصبت لهم الحبائل بطرق مغرية متعددة، بقصد مباعدتهم عن دينهم، وتشكيكهم في قدرة شرائعه على حل ما يعترضهم، في محاولة لإلهائهم عن مهمتهم الأساسية نحو دينهم، بصم آذانهم عن فهم تلك التعليمات فهما جيدا، أو أخذها من مصادرها الموثوقة.

ولما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره" رواه أنس بن مالك، لذا فإن الحماية من تلك الأخطار، تحتاج إلى جهد يبذل، وعمل يتواصل، مع أعمال متظافرة، وفهم عميق، بإدراك وروية، ومخاطبة العقول برفق وأناة، حتى يتصرف النفوس على تلمس الداء، ومعالجة هذا الغزو بالحكمة، والموعظة الحسنة، وتخوّل القلوب – كما أخبر رسول الله – بما يحرك العامل الإيماني ويبين الأضرار الموجهة.

وهذا لا يتم الا بالغوص مع الشباب، ومقارنة الأمور، لإدراك الحلول التي تعينهم في تخطّي ما يجول في أذهانهم، كل فرد بما يناسب حالته، وإذا عرف الداء، أمكن وصف الدواء، وقد يكون من المعين: تيسير الزواج، والترغيب فيه، والإعانة عليه.

ذلك أن شباب اليوم، لديهم طاقات يجب أن تستثمر ويعانون عليها، ومشكلات يحسن إدراكها وتذليلها أمامهم، لأن مصادر المعرفة قد انفتحت أمامهم، بأبوابها الواسعة، ووجهت إليهم ثقافات الأمم المختلفة، بما فيها من أفكار ونوايا مغرضة: مغريات وثقافات هابطة ومعارف

متعددة بمصادرها، مما يراد به إبعاد الشباب عن دينهم، تشكيكا في التعاليم الدينية، ودعوة للانحراف عنه ما بين: مسموع ومقروء ومرئي، فأصبحت وسائل الإعلام والثقافة متوفرة في كل صقع من الأرض، بل دخلت كل بيت في أنحاء المعمورة، حتى أكواخ الفقراء، ومضارب البادية، وحصون النساء المخدرات.

ومع تسربها إلى كل مكان، فإن الذي يوجه العالم الثالث، وهم في الأغلب المسلمون، يحركها عوامل متعددة من نفس وهوى وشيطان، وشياطين الإنس أشد خطرا من شياطين الجن، ويقابل الشباب فرص مهيأة: فالمغريات أمامه، والأعوان من جلساء السوء موجودون، والسبل متوفرة، من مادة وفراغ ووسائل، كما يشير إلى ذلك قول الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة　　　مفسدة للمرء أي مفسدة

والذي نخشاه على شباب اليوم الانحراف، مع الأعمال الإرهابية، بأسماء متنوعة، فينجرفون مع التيارات الإجرامية عداء لأمتهم، وبغضا لقيادتهم من حكام وعلماء، وسعيا في الفساد والإفساد، بدون هدف معين، ولا مطلوب مرسوم، على منهج الخوارج، الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلهم في النهروان، ثم تشعبت فرقهم، فمزقوا صف الجماعة، وأرهبوا الأمة، وأفرحوا أعداء الله، وسعوا جاهدين في الإضرار، بالدين وبالأمة، وبجماعة المسلمين.

ذلك أن وسائل الثقافة المتاحة اليوم، سلاح ذو حدين في التوجيه والاهتمام، وهذا السلاح إن رُوعي، وأخذت له الأهبة، وحدد مساره النافع، فهو جانب خير، ووراءه فائدة، وهذا لن يتأتى إلا بجهود مبذولة في التوجيه والإعداد، والتوعية، ومغالبة النفس في العمل، وجهود أخرى في المراقبة والحيطة، وحسن التوجيه، والقدوة الصالحة.

وهذا ما يجب إدراكه، كعلاج نافع في المحافظة على الشباب وأفكارهم، حتى لا تتخطفهم الأيدي المغرضة، قبل فوات الأوان، حتى تسد المنافذ التي يريد العدو أن ينفذ منها على أكتاف الشباب المغرر بهم، والذين يساقون بدون هدف معين.

أما الجانب الآخر، وهو جانب الشرور التي تدخل على المجتمعات من الثقافات الموجهة، والتي من قبل خصوم الأمة في دينها ومعتقدها بوسائل، لتخفف الميزان من قلوب الشباب، وتشككهم في الثوابت والقيم، في دينهم، لأن بالسيطرة على عقولهم، والنفاذ إلى فكرهم، مكسبا للعدو أي مكسب، وهذا من المكر: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين".

لذا فإن تحصين الشباب من هذا الجانب، فرصة للتوعية وفي توسيع دائرة التنبيه منذ بدأت المغريات تسلط على المجتمع الإسلامي، فكرا وثقافة وشبهات.

مما يجب معه بذل الجهد لتحصين الشباب، كما يتحصن كل فرد في حداثة سنه، عن سائر الأمراض باللقاحات والمضادات، لأنها دخلت المجتمع الإسلامي بطرق متنوعة، ووجهت لكل شخص مهما كان موقعه، وفق المخترعات الحديثة وآثارها. وعندما يجيل الإنسان نظره في أي اتجاه شاء فإنه لا يجد شخصا لا يملك جهاز "راديو"، أو يحتفظ بجهاز للتسجيل.

كما أن الأجهزة الحديثة، والمخترعات العلمية بأنواعها، وما جد من شبكة عنكبوتية واتصالات وغيرها مما سرى ويسري أثره، في المجتمعات، والموجهة بعمد كغزو للشباب المسلم خاصة، كسريان النار في الهشيم، ويصعب صدهم عنها أو منعهم فالممنوع مرغوب.

منعت شيئا فأكثرت الولوع به   أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

وما ذلك إلا أن التيارات الكثيرة الموجهة، ذات ثقافات متعددة، لإلهاء الشاب بالصورة المثيرة، والمعلومات والقصص العاطفية، التي تتلاعب بأوتار الحواس، وتثير الغرائز.

إن الشباب هم أمل الأمة، وهم عنصر البناء في المجتمع، فيجب الاهتمام بهم، وحسن توجيههم، وإتاحة الفرص أمامهم لكي تكتشف مواهبهم، فتنمى، ليهيأ لكل فرد ما يتلاءم مع مواهبه.. أولا بتقوية الرابطة الإيمانية والعقدية، لأن هذا هو الأساس، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومتى ابتغينا العز بغيره أذلنا الله.

ثم التنافس العلمي، في دور العلم الميسرة في البلاد، والجامعات العديدة التي حرص على توسيع قاعدتها، خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله، وفقه الله لكل خير ورزقه الأعوان عليه، ويبرز مثل هذا:

في نموذج التركيز على جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية التي تذكر بدار الحكمة التي أنشأها المامون العباسي، وأحدثت نقلة علمية، وهذا ما سيتحقق في قرية "ثول" شمال جدة على ساحل البحر الأحمر، لتتحول من قرية بسيطة لصيد الأسماك، إلى قلعة علمية، زاخرة بالمعامل والبحث العلمي، في زمن وجيز، بما وضع في أهدافها، وهيئ لها من إمكانات.

فالشباب لا يولدون علماء، وإنما تكمن في نفوسهم المواهب، التي تنمو بالتوجيه، وحسن الاتجاه، وسلامة التخطيط، ثم تهيئة الفرص، وهذه الجامعة قد هيئت بإمكاناتها وأهدافها، فرصة للشباب المتحمس ليتبوءوا وجودهم، ويحققوا الأمل المنشود منهم.

وبالعزيمة والتصميم يبلغ الإنسان، ما تريده الأمة منه، بالتنافس والهمة العالية، كما روي عن الإمام أحمد قوله لابنه صالح، عندما بدأ بالدرس، ماذا تريد أن تصل في العلم؟ قال: مثلك يا أبي، فقال: ثكلتك أمك، كنت أتمنى الكون مثل علي بن أبي طالب، فقصر جهدي عن ذلك، فعليك أن تضع هدفك بعيدا، واجتهد في ذلك، وسوف يقصر سعيك دون هدفك البعيد.

والملك عبد العزيز – رحمه الله – في مسيرته لبناء هذا الكيان الكبير، الذي ننعم به جميعا، لم يتحقق إلا بعون الله، ثم الهمة العالية والسعي الدؤوب، وكان يتمثل بهذا البيت، ولتطلعاته الكبيرة قلب كلمة مثل بكلمة فوق، كما قال الريحاني:

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونعمل "فوق" ما عملوا

فأجدادنا المسلمون، لم تتسع ممالكهم، ولم يبنوا حضارتهم، التي يشهد بها علماء الغرب المنصفون الآن، ويشيدون بمكانتهم، التي كانت قاعدة أساسية في بناء حضارة اليوم، إلا بالعلم والتنافس، والاستفادة من علوم الأمم متى ترجمت، وفتحت لهم أبواب التوسع، العلمي والابتكار، فالتتبع العلمي، ومجالس العلم المهيأة، في مثل هذه الجامعة التي أرادها الملك عبدالله خادم الحرمين، لتكون مركز إشعاع، وقاعدة أساسية في العلوم الحديثة، بإتاحة الوقت للشباب في الاهتمام والتأمل، ثم التشجيع والمساعدة، في دخول الميدان وميدانا علميا واسعا، والأخذ منه بسهم وافر .. ولا عذر للشباب عن التنافس والجد والاجتهاد، والارتقاء، ليسعدوا أنفسهم وتسعد بهم وبأعمالهم أمتهم، بعد تجاوزهم التيارات المعاصرة، والأخذ بالأحسن كما قال الشاعر:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

ويعجبني في هذا قول سفيان الثوري، وهو من علماء الإسلام البارزين، بزهده وعلمه وحبه للخير وكثرة الصدقات: هم رجال ونحن رجال، ولهم عقول ولنا عقول .. وهذا شعار نريده من كل شاب عندنا إن شاء الله، بعد أن هيئت الفرص، وتوفرت الإمكانات المعينة على اثبات الوجود، وتحقيق المصلحة المرجوة، بعد أن بذلت الأسباب.

***

العقيدة الإسلامية

عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه

أمان الله محمد إسماعيل
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

إن أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، ويعتقدون به، وهم وسط في كل باب من أبواب العقيدة [١]، ومن ثَم يعتقدون في الحياة البرزخية اعتقادا موافقا للكتاب والسنة، ويؤمنون بها إيمانا جازما خاليا من الشك والريب، والحياة البرزخية هي التي ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث [٢]، فكل ما ورد في الكتاب والسنة بهذا الخصوص مثل سؤال من منكر ونكير، وضغطة القبر، وعذابه، ونعيمه من وقت مفارقة الحياة إلى أن يبعث كل واحد من قبره بعد نفخ الصور في القرن من ملك موكل بذلك، أهل السنة يؤمنون بجميعها من غير إفراط ولا تفريط، كما أنهم يلاحظون الفرق بين الحياة الدنيوية والبرزخية و الأخروية، ويعطون لكل حياة منها معنى صحيحا مستقى من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من أئمة الدين بعدهم إلى يوم يبعثون، وهنا نوضح عقيدة أهل السنة والجماعة في بعض مسائل الحياة البرزخية ألا وهي عذاب القبر ونعيمه، وقبل أن ندخل في صلب الموضوع نرى من المناسب إلقاء الضوء على فتنة القبر لصلتها القوية بعذاب القبر ونعيمه، ولأن فتنة القبر هي مقدمة لعذاب القبر ونعيمه، وذلك تتمة للفائدة وإبرازا لعقيدة أهل السنة والجماعة فيها.

فأولا: فتنة القبر:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الميت إذا وضع في قبره، يسأله ملكان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير، فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه، وهذا السؤال يعبر عنه في اصطلاح الشرع بفتنة القبر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك، وما دينك، ومن نبيك ؟، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ص: ٣٣٧-٣٣٨، ووسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم محمد باعبد الله، دار الراية، ط،١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١-١٢/١٣٥)

الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح في الأجساد)[١]

ففتنة القبر حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

أما الكتاب: فقوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)[٢].

وجه الاستدلال بهذه الآية: أن هذه الآية نزلت في فتنة القبر وهي سؤال منكر ونكير الميت في قبره، فعن البراء ابن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ).

وعن شعبة بهذا، وزاد: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) نزلت في عذاب القبر.[٣]

وأما السنة :فقد تواترت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين للميت ؛ من رواية أنس، والبراء، وتميم الداري، وبشير بن الكمال، وثوبان، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن رواحة، وعبادة بن الصامت، وحذيفة، وضمرة بن حبيب، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأبي موسى، وأسماء، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.[٤]

ونختار هنا بعض الروايات الصحيحة الدالة على هذا:

-عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)[٥]

---

(١) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها للهراس ص:٢٠١-٢٠٢

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب: ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى... ص: ٢٣٩، رقم الحديث: ١٣٦٩.

(٤) انظر: شرح الصدور للسيوطي ص: ١٢١

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ)) ص:٨٦٥، رقم الحديث: ٤٦٩٩.

- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج[١] المسلمون ضجة.[٢]

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم- أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين.[٣]

وأما الإجماع: قد أجمع العلماء المعتبرون قاطبة أن فتنة القبر وسؤال الملكين حق ثابت يجب الاعتقاد بها.

يقول الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: (وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن...)[٤]

ويقول الإمام الطحاوي: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران)[٥]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه)[٦]

ويقول ابن أبي العز الحنفي: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار،

---

(١) الضج: الصياح عند المكروه والمشقة والجزع. انظر: النهاية (٢/٧٠).
(٢) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب: ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى... ص:٢٣٩، رقم الحديث: ١٣٧٣.
(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب: ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى...ص: ٢٣٩ رقم: ١٣٧٤.
(٤) الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة مع شرحه للدكتور محمد الخميس ص: ٩٦
(٥) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي (٢/٥٧٢)
(٦) العقيدة الواسطية مع شرحها للهراس ص: ٢٠١.

والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا)[١]

ويقول السفاريني: (سؤال الملكين منكر ونكير، فالإيمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أخبار، يبلغ مجموعها مبلغ التواتر)[٢]

ويقول الشيخ صديق حسن خان القنوجي: (وسؤال منكر ونكير حق، والناس يفتنون في قبورهم، فيقال: من ربك ؟ وما دينك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى)[٣]

ويقول الشيخ نعمان بن محمود الآلوسي: (وقد اتفق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف وأكثرهم بعد ظهوره على إ ثبات إحياء الموتى في قبورهم ومسألة الملكين لهم وتسمية أحدهما منكر والآخر نكيرا وعلى إثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين)[٤]

فهذه النصوص من الكتاب والسنة وأقوال بعض العلماء الأجلاء تثبت لنا أن فتنة القبر وسؤال منكر ونكير حق ثابت، وأن المسلمين متفقون على ذلك جيلا بعد جيل.

وأما ما نُقل عن بعض الناس من إنكارها أو تأويلها، فباطل لا يلتفت إليه، وليس له أي قيمة أمام هذه الأدلة القطعية المتواترة المشهورة.[٥]

وثانيا: عذاب القبر ونعيمه:

من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وكذا الإيمان بجميع ما ورد في الكتاب والسنة في شأن تعذيب المرء وتنعيمه في قبره، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع علماء أهل السنة على إثبات هذه العقيدة.

والأدلة على ذلك كثيرة جدا، نكتفي ببعضها:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٥٧٨/٢)

(٢) لوامع الأنوار (٥/٢)

(٣) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر له ص: ١٢٢

(٤) الآيات البينات للآلوسي ص: ٥٦

(٥) انظر: أقوال الناس في إنكار فتنة القبر وسؤال الملكين في: المواقف في علم الكلام للإيجي ص: ٥١٦-٥١٨، والروح لابن القيم ص: ١٠٥-١٠٦.

أولا: الأدلة من القرآن الكريم :استدل أهل العلم ببعض الآيات على عذاب القبر ونعيمه، منها:

- قوله: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنْ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)[١]

استدل بهذه الآية جم غفير من العلماء على عذاب القبر، وذلك أن الله تعالى ذكر العذاب ثلاث مرات، فالمرة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر، والثالثة في النار بعد يوم القيامة.

يقول ابن عباس: العذاب الأول في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنفاق أو إقامة الحدود عليهم، والعذاب الثاني عذاب القبر.

ويقول مجاهد: العذاب الأول: الجوع، والعذاب الثاني: عذاب القبر.

ويقول مقاتل بن سليمان: العذاب الأول: عند الموت؛ تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والعذاب الثاني: في القبر بمنكر ونكير.

ويقول ابن جريج: عذاب الدنيا، عذاب القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم؛ النار.

ويقول الحسن البصري: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.[٢]

وقد قيل في المراد بالعذابين غير هذا.[٣]

- ويقول تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً)[٤]

استدل بهذه الآية كثير من أهل العلم أن المراد "بالمعيشة الضنك" عذاب القبر.[٥]

- ويقول تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[٦].

استدل بهذه الآية كثير من أهل العلم الأجلاء على عذاب القبر، حيث إنهم قالوا إن المراد بالعرض هو ما يكون في البرزخ.[٧]، كما ذكر الإمام البخاري في صحيحه تحت باب ما جاء في عذاب القبر.[٨]

---

(١) سورة التوبة: ١٠١

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/٩-١٢)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/٣٧٢-٣٧٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٦١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/٢٢٠)، وتفسير القرآن الكريم لابن كثير (٣/٣٥٠).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) سورة طه: ١٢٤

(٥) أنظر: أقوال العلماء والمفسرين الذين استدلوا بهذه الآية على عذاب القبر في: تفسير الطبري (٨/٩-١٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٦/٣٥٣)، وتفسير القرآن الكريم لابن كثير (٣/١٦١).

(٦) سورة غافر: ٤٦

(٧) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/٧٠٥)

(٨) انظر: صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ص: ٢٣٨-٢٣٩.

يقول ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)[١].

ويقول الشوكاني: (ذهب الجمهور أن هذا العرض هو في البرزخ)[٢].

هذه بعض الآيات، وهناك آيات أخرى استدل بها أهل السنة والجماعة على عذاب القبر.[٣]

وبهذا لا التفات إلى القائلين بأن عذاب القبر لم يذكر في القرآن الكريم مع شدة الحاجة إليه.[٤]

فالحاصل: أن عذاب القبر مذكور في القرآن الكريم في آيات متعددة، استدل بها أهل العلم، والمسألة هذه معروفة عندهم.

وأما نعيم القبر، فقد وردت فيه آيات من القرآن، منها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)[٥].

يقول ابن كثير: (وقال زيد بن أسلم[٦] يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم. وهذا القول يجمع الأقوال كلها، وهو حسن جدا وهو الواقع)[٧]

- ويقول تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي)[٨]

وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك، فقالت طائفة يقال لها عند الموت، وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التي تجردت عن البدن وخرجت منه، وقد فسر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذا في حديث البراء وغيره، فيقال لها اخرجي راضية مرضية عنك.[٩]

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم (٣/٧٢)

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/٧٠٥)

(٣) انظر: هذه الآيات في الروح لابن القيم ص: ١٣١-١٣٣، حيث ذكر جملة كبيرة من الآيات التي استدل بها على عذاب القبر.

(٤) انظر: جواب ابن القيم على أنه لِمَ لم يذكر عذاب القبر في القرآن الكريم ص: ١٣١ من كتابه الروح.

(٥) سورة فصلت: ٣٠-٣٢

(٦) هو زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبد الله وأبو أسامة، المدني، ثقة عالم، وكان يرسل، من التابعين، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: التقريب ص: ١٦٢.

(٧) تفسير القرآن الكريم لابن كثير (٤/٨٨)

(٨) سورة الفجر: ٢٧-٣٠

(٩) انظر: الروح لابن القيم ص: ١٣٣

ثانيا: من السنة: أما السنة فقد تواترت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ببيان عذاب القبر ونعيمه على التفصيل، منها:

- عن عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها، أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال: نعم، عذاب القبر. قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. زاد غندر: عذاب القبر حق.[١]

- عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.[٢]

- عن ابن عباس رضي الله عنهما مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله. قال: ثم أخذ عودا رطبا فكسَره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما، ما لم ييبسا.[٣]

ففي هذا الحديث ذكر بعض الأسباب الموجبة لعذاب القبر، وهي: الغيبة، وعدم التستر من البول.

وقد ذكر بعض أهل العلم السر في تخصيص جزاء عدم التنزه من البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر، وهو أن القبر أول منازل الآخرة وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والمعاصي والثواب.

والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان: حق لله وحق لعباده، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة، ومن حقوق العباد الدماء.

وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين، ووسائلهما. فمقدمات الصلاة الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمات الدماء النميمة والوقيعة في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.[٤]

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب: ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى.. ص:٢٣٩، رقم الحديث: ١٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر ص:٢٣٩-٢٤٠ رقم الحديث: ١٣٧٥

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول ص:٢٤٠، رقم الحديث: ١٣٧٨.

(٤) انظر: أهوال القبور لابن رجب الحنبلي ص: ٩٤-٩٥

-عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة والعشي؛ إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة.[١].

هذه هي بعض الأحاديث الصحيحة من صحيح البخاري اخترتها من بين الأحاديث الصحيحة الكثيرة الشهيرة، المتواترة.[٢]

يقول الإمام البربهاري رحمه الله: (والإيمان بأن الميت يقعد في قبره، ويرسل الله فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه، ثم تُسلُّ روحه بلا ألم، ويعرف الميت الزائر إذا أتاه، وينعم في القبر المؤمن، ويعذب الفاجر كيف شاء الله)[٣]

ويقول ابن القيم رحمه الله : (فأما أحاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم)[٤]

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا)[٥]

تبين لنا من هذه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء الأفاضل ثبوت عذاب القبر ونعيمه، ولم يبق أي شك في ذلك[٦].

ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن عذاب القبر ونعيمه يحصل على الجسد والروح، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين.[٧]

ثم ليعلم أن المراد بعذاب القبر ونعيمه: هو عذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه الذي

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ ص:٢٤٠، رقم الحديث: ١٣٧٩.
(٢) انظر: كتاب الروح ص:٩٧
(٣) شرح السنة للبربهاري ت- خالد الردادي ص: ٨٤، دار السلف –دار الصميعى.
(٤) كتاب الروح ص :٩٧
(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/٥٧٨) .
(٦) انظر في إثبات عذاب القبر كتاب: إثبات عذاب القبر، للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: الدكتور شرف محمود القضاة، دار الفرقان، ط،١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
(٧) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/١١٨)، والروح لابن القيم ص:٩٦-٩٧، والآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للشيخ نعمان بن محمود الآلوسي ت- محمد ناصر الدين ص: ٤٤.

تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفيتهما فقد ظن بعض الأوائل أنه إن حرق جسده بالنار وصار رمادا وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال قم فإذا هو قائم بين يدي الله فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما والهواء على ذلك نارا أو سموما فعناصر العالم وموارده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شيء أراده بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته.[١]

وهنالك أقوال باطلة في عذاب القبر ونعيمه، وهي إما إنكار ذلك صراحة كما يقول ذلك الملاحدة والزنادقة المنكرون لعذاب القبر مطلقا، وإما أن عذاب القبر ونعيمه خاص بالكفار أو الفساق من أهل النار المخلدين فيها، وليس هذا للمؤمنين، أو أنه يكون بين النفختين، أو أنه يكون على الأرواح لا على الأبدان[٢]، أو أن المعذبين لا يشعرون بالآلام، فإذا حشروا أوجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، وقالوا سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب.[٣]

وجميع تلك الأقوال باطلة، لا دليل عليها، ويردها الآيات والأحاديث المتواترة وأقوال أهل العلم الأجلاء.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

(١) انظر: الروح لابن القيم ص: ١٢٨-١٢٩.

(٢) كما يقول بذلك ابن حزم رحمه الله، انظر: الفصل (٤/١١٧).

(٣) انظر: هذه الأقوال الباطلة في: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/١١٧)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص: ٤٩٣، ٤٩٥، والروح لابن القيم ص: ١٠٥-١٠٦

حركات هدامة

مخططات اليهود .. والشيعة حول الحرم المكي وسبل مواجهتها

الشيخ أبو القاسم عبد العظيم
مئونات بنجن

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلى على الظالمين، وأصلى وأسلم على رسوله محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأهل بيته وعترته الطاهرين والغر الميامين، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد: فإن الاعتقاد بقدسية الحرمين الشريفين واجب إيماني، يقرب المؤمن إلى الله تعالى من حيث هو اعتقاد خالص، ومن حيث إنه أس لسلوك شرعي صالح يسلكه المسلم في حرم الله تعالى وحرم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن قدسية الحرمين الشريفين شعبة من شعب الإيمان الحق، معلومة من الدين بالضرورة، وإن من يجحدها يمرق من الإسلام، ومن ينتهكها مستحلا لذلك، ومتعمدا له، ومصرا عليه فهو ملحد، داخل في الوعيد الوارد في قوله سبحانه وتعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) [سورة الحج: ٢٥] بخلاف الأول الذي يعطي الحرمين حقهما من التعظيم والتقديس والتحريم فإنه من تقوى القلوب بمكان لا يساويه فيه غيره، قال عز من قائل: (ذلك، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) [سورة الحج: ٣٢].

إن الندوة العلمية التي يقيمها "مركز ابن القيم الإسلامي للبحوث والدعوة والإرشاد" بمدينة شنآي بولاية تامل نادو بالهند في هذين اليومين (٢٠-٢١/شعبان ١٤٣١هـ-٢-٣/أغسطس ٢٠١٠م) بعنوان: "تعظيم المسجد الحرام" شعور بهذا الواجب، وانطلاقة من هذا المنطلق، وعمل بذلك التقوى، وأداء ببعض المسؤوليات تجاه الحرمين الشريفين.

وأنا إذ أشارك هذا المؤتمر الإيماني العظيم بهذا الشعور والانطلاقة بالعنوان الموجه إليّ باسم "خطة اليهود والشيعة حول الحرم المكي" لأهنيء القائمين على "مركز ابن القيم للبحوث والدراسات والدعوة والإرشاد" على عقدهم هذا المؤتمر في جنوب الهند راجيا أن تكون فيه أسوة لشمالها، ونموذج لشرقها وغربها، ومنفعة عظيمة للإسلام والمسلمين، كما أدعو الله أن يكلل هذا المؤتمر بالنجاح، ويجزل الأجر والمثوبة للقائمين والمشاركين، ويجعل توصياته وقراراته نافعة ومفيدة؟ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إخواني في الله! إن من واجب تعظيم بيت الله الحرام ومسجده وبقاعه وحدوده الانتباه والتيقظ بالبصيرة النافذة نحو المخططات والمكائد التي يخططها ويكيد بها أعداء الإسلام

والإسهام في دفع البدع والفتن والفوضى والقلاقل التي ابتدعها وأثارها –في حرم الله الآمن– أولئك الذين شاقوا الله ورسوله، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وتلبسوا بكبيرة الإفساد والتخويف في أصلح وآمن وأعز مكان من الأرض، ألا وهو البيت الحرام، وتنادوا بتدويل الحرمين الشريفين منذ آونة أخيرة في القرن العشرين.

حرمة مكة المكرمة وقدسية حرمها:

واعلم أن الكلام حول حرمة مكة المكرمة وقدسية حرمها طويل، وإن نصوص الكتاب والسنة في بيانها مستفيضة متواترة مشهورة ليس هذا موضع ذكرها، وإنما أكتفي ههنا ببعض النصوص.

فمنها قوله سبحانه تعالى في محكم تنزيله: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي لطائفين والعاكفين والركع السجود) [سورة البقرة: ١٢٥]

ومنها قوله: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) [سورة الحج: ٢٦]

ومنها قوله: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين). [سورة آل عمران: ٩٦–٩٧)

واعلم أن القدسية والحرمة تقتضي العمل وفقها، والسلوك بموجبها، والسير في إطارها، ومن ثم قرن الإسلام العلم بتقديس الحرمين وحرمتهما بنيات وأعمال، ومسالك وآداب لا ينفك عنها امرؤ يؤمن بالله واليوم الآخر.

فمن تقديس الحرم أن لا يقربه مشرك، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) [سورة التوبة: ٢٨] وذلك لأن الطهارة والنجاسة نقيضان لا يجتمعان.

ومن تقديس الحرم اجتناب الرجس الوثني واجتناب قول الزور، قال تعالى: (ذلك ومن يعظم حرمات الله، فهو خير له عند ربه، وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم، فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور، حنفاء لله غير مشركين به) [سورة الحج: ٣٠–٣١)

ومن تقديس الحرم كف الهم الإرادي عن تبييت النية بإلحاد بظلم فيه، قال تعالى: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) [سورة الحج: ٢٥]

ومن تقديس الحرم الامتناع التام عن الرفث والفسوق والجدال في أثناء الحج إليه، قال تعالى: (الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) [سورة البقرة: ١٩٧]

ومن تقديس الحرم الجوار بالتوحيد الخالص في كنفه، والتطهير من كل شرك وشائبته، قال تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا) (سورة الحج: ٣٦) ولذلك كان جوار جميع الأنبياء وأهل دينهم ممن حجوا هذا البيت: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، كما رواه مسلم وغيره.

ومن تقديس الحرم الالتزام بالسنة في المواقيت المكانية، وذلك أن الحكمة العظيمة في هذه المواقيت أن يستعد قاصد البيت الحرام استعدادا معنويا بتجريد النية، واستعدادا بدنيا بالاغتسال وأخذ الطهارة الشرعية، واستعدادا شكليا أو ظاهريا بلباس الإحرام الخاص، واستعدادا روحيا بالمرور على المواقيت على بعد أميال كثيرة من البيت الحرام، وذلك لتأتلق قدسية الحرم في القلب والذهن والحواس.

وفي تقديس الحرم وسلوك آدابه أحاديث نبوية كثيرة.

منها قوله صلى الله عليه وسلم وقد قام خطيبا يوم فتح مكة: "إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرا. فإن أحد ترخص في قتال فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس. (رواه الشيخان وغيره عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي ورد في بعضها: "فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد. الخ.

قال تعالى: (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) [سورة النمل: ٩١)

وقال تعالى: (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) [سورة العنكبوت: ٦٧]

انتهاك حرمات الحرم المكي وإثم الإلحاد فيه:

قد سبق بنا قريبا قوله سبحانه: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) [سورة الحج: ٢٥] ولذلك قال العلماء: "ومن خواصه –أي من خصائص البلد الحرام– أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها، لأنه تعالى عدّى فعل الإرادة ههنا بالباء، ولا يقال: أردت بكذا إلا لما ضمن معنى فعل "هم" فإنه يقال: هممت بكذا، فتوعد من هم بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم

(ص٤٤خصائص جزيرة العرب للشيخ بكر أبوزيد، وأضواء البيان للشنقيطي١/٥٩–٦٠وتفسير ابن كثير وغيره)

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ملحد في حرم الله، و......، و....". [صحيح البخاري رقم: ٦٨٨٢، و١٢/٢١٠مع فتح الباري)

روى أحمد بإسناد صحيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال: "إن أعدى الناس على الله من عدا في الحرم، و....و...". (المسند٢/٢٠٧–٢١٢، وأيضا٢/١٧٩، ١٨٧، والفتح الرباني ٢١/١٥٩، و١٦/٤٣) (قال الشيخ شعيب الأرنووط إسناده حسن ولبعضه شواهد يصح به).

وروى الفاكهي بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستة لعنتهم ولعنهم الله عز وجل، وكل نبي مجاب" فذكر: "والمستحل لحرم الله". (الفاكهي ١٢٣/ب) (ضعفه الألباني رحمه الله في سنن الترمذي).

ومن الكبائر التسع كما رواه الحاكم وصححه إسناده أنه صلى الله عليه وسلم قال: "واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا". (الزواجر لابن حجر الهيثمي١/٢٠٠) (قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله: "حسن").

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحح عنه أنه قال لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه: "يا ابن الزبير! إياك والإلحاد في حرم الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنه سيلحد فيه رجل من قريش، لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت) فانظر لا تكن هو". [المسند٢/١٣٦، والفتح الرباني ٢٣/٢٤٤) (قال الشيخ شعيب رجاله ثقات رجال الشيخين، وحكم عليه بالصحة).

ومثله قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. (الفتح الرباني ٢٣/٣٤٣)

وعن عثمان لما عرض عليه مغيرة بن شعبة اللحاق بمكة وهو محصور فإنهم لن يستحلوه وهو بها. قال: "وإما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم "فلن أكون أنا إياه" [مسند الإمام أحمد ١/٦٧، الفتح الرباني ٢٣/١٠٨] (إسناده ضعيف لانقطاعه محمد بن عبد الملك بن مروان: ١٣٣٤هـ-مغيرة بن شعبة: ٥٨).

وكذا لما عرض عليه عبد الله بن الزبير نجائبه وهو محصور أن يتحول إلى مكة، فيأتيه من أراد أن يأتيه، قال: لا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يلحد بمكة كبش من قريش، اسمه عبد الله، عليه مثل نصف أوزار الناس". [المسند ١/٦٤، الفتح الرباني ٢٣/١٠٩]

(اسناده ضعيف ومتنه منكر شبه موضوع، قال الحافظ ابن كثير في البداية (٣٣٩/٨) بعد أن أورد هذا الحديث أنه منكر جدا وفي إسناده ضعف).

وقد جاء في تعجيل عقوبة العذاب لمن يلحد في الحرم روايات وقصص، ليس هذا موضع ذكرها.

اعتداءات إجرامية على الحرم المكي عبر التاريخ:

قبل أن نخوض في صلب الموضوع يجدر بنا أن نشير إلى بعض الاعتداءات الإجرامية على الحرم المكي والتي سجلتها بطون الكتب، ونلخصها فيما يلي:

- اعتداءات على حدود الحرم.
- اعتداءات على أنصاب الحرم.
- اعتداءات على الكعبة المشرفة.
- اعتداءات على الحجر الأسود.
- اعتداءات على المقام (مقام إبراهيم).
- اعتداءات على زمزم (بئرها وقبتها).
- اعتداءات على مفتاح الكعبة.
- اعتداءات على كنز الكعبة.
- أعمال إجرامية في مكة المكرمة.
- أعمال إجرامية في داخل حدود الحرم.
- أعمال إجرامية في داخل المسجد الحرام.
- أعمال إجرامية في الكعبة الشريفة.
- التنادي بتدويل الحرمين الشريفين.

فهذه هي أكثر من عشرة أنواع للاعتداءات، وتحت كل واحد منها قصة أو قصص تقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم ويعظمون حرماته ويجلون شعائره، لا يحتمل هذا المقال الوجيز بسطها وتفصيلها.

(يتبع)

***

آداب إسلامية

آداب الصلاة

(٧)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

٨٨– يستحب أن يقبل الإمام على المأمومين لوجهه عند السلام ففي سنن أبي داود عن جابر بن يزيد الأسود عن أبيه قال: "صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا انصرف انحرف".[١]

وليس من الأدب أن يستدبر الإمام المأمومين بعد انقضاء الصلاة.

٨٩– يشرع انتقال المصلي من مصلاه الذي صلى فيه لكل صلاة يفتتحها من أفراد النوافل. ففي سنن أبي داود عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصلي الإمام في الموضع الذي صلى فيه حتى يتحول".[٢]

قال المحدث العظيم آبادي: والحديث يدل على مشروعية انتقال المصلي عن مصلاه الذي صلى فيه لكل صلاة يفتتحها من أفراد النوافل، أما الإمام فبنص الحديث، وأما المؤتم والمنفرد فبعموم حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أيعجز كم إذا صلى أحدكم أن يتقدم أو يتأخر أو عن يمينه أو عن شماله"، وبالقياس على الإمام.[٣]

٩٠– يكره أن يصف بين السواري، ففي سنن أبي داود عن عبد المجيد بن محمود قال: "صليت مع أنس بن مالك يوم الجمعة فدفعنا إلى السواري فتقدمنا وتأخرنا، فقال أنس: كنا نتقي هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".[٤]

قال المحدث العظيم آبادي: قال الترمذي: وقد كره قوم من أهل العلم أن يصف بين السواري، وبه قال أحمد واسحاق، وقد رخص قوم من أهل العلم في ذلك، انتهى.

وروى سعيد بن منصور في سننه النهي عن ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وحذيفة، قال ابن سيد الناس: ولا يعلم لهم مخالف في الصحابة، ورخص فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن المنذر، قياسا على الإمام والمنفرد، قالوا: وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة بين ساريتين.

---

[١] مع العون ٧٠ باب الإمام ينصرف بعد التسليم: ٦٠٠.
[٢] مع العون ٧١ باب الإمام يتطوع في مكانه الذي صلى فيه المكتوبة ٦٠٢، قال أبو داود: عطاء الخراساني لم يدرك المغيرة بن شعبة.
[٣] عون المعبود ٢/٣٢٣.
[٤] مع العون ٩٣ باب الصفوف بين السواري ٦٥٩، قال الألباني رحمه الله "صحيح" في سنن أبي داود ح ٦٧٣ ص ١٢١.

قلت: يدل على التفرقة بين الجماعة والمنفرد حديث قرة عن أبيه قال: "كنا نُنهى أن نصف بين السواري على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونطرد عنها طردا" رواه ابن ماجه، لأنه ليس فيه إلا ذكر النهي عن الصف بين السواري ولم يقل كنا ننهى عن الصلاة بين السواري.

وأما حديث الباب ففيه النهي عن مطلق الصلاة بين السواري فيحمل المطلق على المقيد، ويدل على ذلك صلاته صلى الله عليه وسلم بين الساريتين فيكون النهي عن هذا مختصا بصلاة المؤتمين بين السواري دون صلاة الإمام والمنفرد، وهذا أحسن ما يقال، وما تقدم من القياس على الإمام والمنفرد فاسد الاعتبار لمعارضته للأحاديث.[1]

٩١- يستحب أن يطيل القيام من الركوع والجلوس بين السجدتين، ففي سنن أبي داود عن البراء "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سجوده وركوعه وقعوده ما بين السجدتين قريبا من السواء".[2]

٩٢- من الأدب إذا تثاءب الرجل في الصلاة أن يكظم ما استطاع ولا يقول "ها" فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل".[3]

٩٣- ليس من الأدب أن يشبك الرجل في الصلاة - والتشبيك إدخال بعض الأصابع في البعض - فعن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه في الصلاة".[4]

٩٤- يستحب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد الأول. عن سالم عن أبيه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي منكبيه، وقبل أن يركع، وإذا رفع من الركوع، ولا يرفعهما بين السجدتين".[5]

قال النووي: اجتمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام، واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم يستحب رفعهما أيضا عند الركوع، وعند الرفع منه، وهو رواية عن مالك، وللشافعي قول أنه يستحب رفعهما في موضع رابع،

---

[1] عون المعبود ٢/٣٧٠، ٣٧١.

[2] مع العون ١٤٤ باب طول القيام من الركوع وبين السجدتين ٨٣٧، قال الألباني رحمه الله "صحيح" في سنن أبي داود ح (٨٥٢) ص (١٥٠).

[3] رواه مسلم.

[4] رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي والدارمي، وصححه الألباني.

[5] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين الخ.

وهو إذا قام من التشهد الأول، وهذا القول هو الصواب، فقد صح فيه حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله. رواه البخاري. وصح أيضا من حديث أبي حميد الساعدي رواه أبوداود والترمذي بأسانيد صحيحة. [١]

وقال النووي في صفة الرفع: "وأما صفة الرفع فالمشهور من مذهبنا ومذهب الجماهير أنه يرفع يديه حذو منكبيه بحيث يحاذي أطراف أصابعه فروع أذنيه أي أعلا أذنيه، وإبهاماه شحمتي أذنيه وراحتاه منكبيه، فهذا معنى قولهم: حذو منكبيه، وبهذا اجمع الشافعي رحمه الله تعالى بين روايات الأحاديث، فاستحسن الناس ذلك منه.

وأما وقت الرفع ففي الرواية الأولى: رفع يديه ثم كبر، وفي الثانية كبر ثم رفع يديه، وفي الثالثة إذا كبر رفع يديه، ولأصحابنا فيه أوجه: أحدها: يرفع غير مكبر، ثم يبتدئ التكبير مع إرسال اليدين وينهيه مع انتهائه، والثاني: يرفع غير مكبر، ثم يكبر ويداه قارتان ثم يرسلهما. والثالث: يبتدئ الرفع من ابتداء التكبير وينهيهما معا. والرابع: يبتدئ بهما معا وينهي التكبير مع انتهاء الإرسال. والخامس: وهو الأصح، يبتدئ الرفع مع ابتداء التكبير، ولا استحباب في الانتهاء، فإن فرغ من التكبير قبل تمام الرفع، أو بالعكس تمم الباقي، وإن فرغ منهما حط يديه ولم يستدم الرفع، ولو كان أقطع اليدين من المعصم، أو إحداهما رفع الساعد، وإن قطع من الساعد رفع العضد على الأصح، وقيل: لا يرفعه، وقيل: حين لم يقدر على الرفع إلا بزيادة على المشروع، أو نقص منه فعل الممكن، فإن أمكنا فعل الزائد، ويستحب أن يكون كفاه إلى القبلة عند الرفع، وأن يكشفهما، وأن يفرق بين أصابعهما تفريقا وسطا. [٢]

٩٥– يستحب التكبير في كل خفض ورفع إلا في رفعه من الركوع، فإنه يقول: سمع الله لمن حمده، فعن أبي بكر بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم، ثم يكبر حين يركع، ثم يقول: "سمع الله لمن حمده" حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: "ربنا ولك الحمد" ثم يكبر حين يهوي ساجدا، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يكبر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه، ثم يفعل مثل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها، ويكبر حين يقوم من المثنى بعد الجلوس، ثم يقول أبو هريرة: إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم. [٣]

---

[١] المرجع نفسه.

[٢] شرح صحيح مسلم ١٦٨/١.

[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض الخ.

قال النووي: "فيه إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع فإنه يقول: "سمع الله لمن حمده"، وهذا مجمع عليه اليوم، ومن الأعصار المتقدمة، وقد كان فيه خلاف في زمن أبي هريرة، وكان بعضهم لا يرى التكبير إلا للإحرام، وبعضهم يزيد عليه بعض ما جاء في حديث أبي هريرة، وكأن هؤلاء لم يبلغهم فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان أبو هريرة يقول: "إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر العمل على ما في حديث أبي هريرة هذا، ففي كل صلاة ثنائية إحدى عشرة تكبيرة، وهي تكبيرة الإحرام، وخمس في كل ركعة، وفي الثلاثية سبع عشرة، وهي تكبيرة الإحرام وتكبيرة القيام من التشهد الأول، وخمس في كل ركعة، وفي الرباعية ثنتان وعشرون، ففي المكتوبات الخمس أربع وتسعون تكبيرة.

واعلم أن تكبيرة الإحرام واجبة، وما عداها سنة، لو تركه صحت صلاته، لكن فاتته الفضيلة وموافقة السنة، هذا مذهب العلماء كافة إلا أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في إحدى الروايتين عنه أن جميع التكبيرات واجبة، ودليل الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم الأعرابي الصلاة، فعلمه واجباتها، فذكر منها تكبيرة الإحرام، ولم يذكر ما زاد، وهذا موضع البيان ووقته ولا يجوز التأخير عنه.[١]

٩٦– إن قراءة الفاتحة واجبة على الإمام والمأموم والمنفرد لحديث عبادة بن الصامت يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.[٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك.. الحديث.[٣]

قال النووي: "ففيه وجوب قراءة الفاتحة، وإنها متعينة لا يجزي غيرها إلا لعاجز عنها، وهذا مذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه وطائفة قليلة: لا تجب الفاتحة بل الواجب آية من القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم: "اقرأ ما تيسر"، ودليل الجمهور قوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة إلا بأم القرآن".

---

[١] شرح صحيح مسلم ١٦٩/١.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة الخ.

[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة الخ.

فإن قالوا: المراد: لا صلاة كاملة، قلنا: هذا خلاف ظاهر اللفظ، ومما يؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب" رواه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه بإسناد صحيح، وكذا رواه أبو حاتم بن حبان، وأما حديث: "اقرأ ما تيسر" فمحمول على الفاتحة فإنها متيسرة، أو على ما زاد على الفاتحة بعدها، أو على من عجز عن الفاتحة.[1]

٩٧– ويسن أن يجهر المرء بما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة، ويسر ما أسر النبي صلى الله عليه وسلم به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا صلاة إلا بقراءة، قال أبو هريرة: فما أعلن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلناه لكم، وما أخفاه أخفيناه لكم.[2]

قال النووي: "وقد اجتمعت الأمة على الجهر بالقراءة في ركعتي الصبح، والجمعة، والأوليين من المغرب والعشاء، وعلى الإسرار في الظهر، والعصر، وثالثة المغرب، والأخريين من العشاء، واختلفوا في العيد والاستسقاء، ومذهبنا الجهر فيهما، وفي نوافل الليل، قيل: يجهر فيهما، وقيل: بين الجهر والإسرار، ونوافل النهار يُسرّ بها، والكسوف يسر بها نهارا، ويجهر ليلا، والجنازة يسر بها ليلا ونهارا، وقيل: يجهر ليلا، ولو فاته صلاة ليلة كالعشاء فقضاها في ليلة أخرى جهر، وإن قضاها نهارا فوجهان، الأصح: يسر، والثاني: يجهر وإن فاته نهارية كالظهر فقضاها نهارا أسر، وإن قضاها ليلا فوجهان، الأصح يجهر، والثاني: يسر، وحيث قلنا: يجهر أو يسر فهو سنة، فلو تركه صحت صلاته، ولا يسجد للسهو عندنا.[3]

(يتبع)

***

[1] شرح صحيح مسلم ١/١٧٠.
[2] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة الخ.
[3] شرح صحيح مسلم ١/١٧١.

بحوث ودراسات

الفتوى والمفتي

بابر علي عزيز الرحمن
مالده، غرب البنغال

الحمد لله الذي هيأ لنا نظاما متكاملا حوى نواحي الحياة جمعاء، وقيض لتبليغه إلى العالم أجمع من أقصاه إلى أقصاه أعلاما وأعيانا، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله نبي البشرية كلها، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وأنقذ الإنسانية من غوائل الضلالة، وبعد:

هذه سطور رتبتها حول الفتوى وما يتعلق بها من أحكام وآداب، وبالله التوفيق.

أصل كلمة "الفتوى"

فتوى: يجمع على فتاو وفتاوى، جواب عن مشكل فقهي أو قانوني، أصله من الفتى وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي، فكأنه يقوي ما أشكل ببيانه فيشب ويصير فتيا قويا، أفتى في مسألة أظهر الحكم فيها، مفت: فقيه يجيب عما يشكل من المسائل الشرعية ويعطي الفتوى بها. (ينظر: المفردات ص ٦٢٥، والمنجد ولسان العرب مادة "ف ت و")

منزلة الفتوى وخطرها

لما كان الإفتاء توقيعا عن رب العالمين، وتبليغا لشرائعه إلى البشرية احتل في الدين مكانة غير مدفوعة، قال النووي –رحمه الله-: "اعلم أن الإفتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل، لأن المفتي وارث الأنبياء وقائم بفرض الكفاية". (المجموع ١/٦٧)

وفي الوقت نفسه هو عرضة للزلات والسقطات وبالتالي للمخاطر والأهوال: "من أفتي بفتيا من غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه". (الدارمي، حديث مرفوع، إسناده حسن إذا صح سماع بكر من عثمان، كذا قال محقق الدارمي، وإلا تأيد بما بعده) "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة: رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك، فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة". (حديث مرفوع صحيح، الإرواء، رقم: ٢٦١٤)

والناس في ذلك أربعة نفر: رجل عرف الشريعة بأحقيتها فهو يستحق أن يتحمل هذا العبء الثقيل فامتنع ورعا وحيطة وحذرا، ورجل توافرت فيه صفات وشروط من يجوز له التصدي لهذا العمل الجليل، فاعتزم التربع على أريكة الإفتاء، فما عليه بذلك من بأس إلا أنه ينبغي له توخي الصواب وتحري الأقرب الأسد، ورجل ماله بالشريعة وتفاريعها من عهد إلا ما يشمله قلبه من نوازع الخير والاشتياقات إلى البر، فلم يخطر بباله أبدا أن يتثاقل بهذه الأمانة

الخطيرة، فهو في فسحة من دينه، ورجل بادر الفتوى مع جهله الشائن وحمقه البائن، فضل وأضل. ومن هنا هابها السلف وحذر تقلدها وردها على غيره ممن عاصره. نقل ابن عبد البر عن شيخ من أهل المدينة يكنى أبا إسحاق، قال: "كنت أرى الرجل في ذلك الزمان وإنه ليدخل يسأل عن الشيء فيدفعه الناس من مجلس إلى مجلس حتى يدفع إلى مجلس سعيد بن المسيب كراهية للفتوى، قال: وكانوا يدعون سعيد بن المسيب: الجريء". (جامع بيان العلم وفضله ٢/١١٢٣)

وبذلك صارت الفتوى تفريعا هاما من تفاريع علم الفقه، وتناولتها بالبحث كتب أصول الفقه كلها، ورسمت لها أنظمة قادرة ووضعت لها آدابا حاظرة لما لا يجمل بالمفتين، قال القنوجي: "هو من فروع علم الفقه، والكتب المصنفة في هذا العلم أكثر من أن تحصى". (أبجد العلوم ٢/٣٦٧)

المفتون درجات

يظهر من متابعة كتاب ابن الصلاح - رحمه الله - "أدب الفتوى" أن للمفتين درجات، لكل منهم درجته الجديرة بمنزلته، وذلك أن المفتي إما أن يكون مجتهدا حرا قادرا ينتهل من الكتاب وصحيح السنة وهو "المفتي المستقل" فإن عمت معرفته مسائل الفقه بحذافرها فهو "المطلق"، وإن تقيد بباب خاص فهو "المقيد" وإما أن يكون راضخا خاضعا لإمام بعينه فهو "المفتي المكبّل" قال ابن الصلاح في حال "المقيد": "أما المفتي في باب خاص من العلم نحو علم المناسك، أو علم الفرائض، أو غيرهما فلا يشترط فيه جمع كل الشرائط التي يجب توفرها في "المطلق". وسأذكرها عما قليل إن شاء الله، ولا أتعرض لـ "المكبل المقيد المقلد" بحثا، لما قطع الإمام العلامة أبو عبد الله الحليمي إمام الشافعين بـ "ماوراء النهر" والقاضي أبو المحاسن الروياني صاحب "بحر المذهب" وغيرهما أنه لا يجوز للمقلد أن يفتي بما هو مقلد فيه". (أدب الفتوى ص ٤٩-٥٠)

قلت: إني لا أشعر بأي حاجة إلى التعرف على المذاهب وفتاوى الأئمة إذا كانت حائدة عن الصواب، وعن المتبع الأصيل للتشريع الإسلامي، وانطلاقا من هذه القناعة رغبنا عن أمور تتصل بالمفتي المنتسب إلى مذهب، وهي كثيرة كدست في المقال لأمسى حافلا وطافحا، فأقتصر على بيان أحكام وآداب تتعلق بالإفتاء المبني على براهين الكتاب والسنة.

شروط وصفات المفتي المستقل مطلقا أو مقيدا

هناك شروط وصفات يشترك في بعضها المفتي المطلق ومن كان من المفتيين متخصصا بباب من أبواب الشرع ويتفرد ببعضها المفتي المطلق لعظم قدره وخطر منزلته وسمو وظيفته. قال محمد سليمان الأشقر: "إن جملة ما شرط العلماء في المفتي خمس شرائط: الإسلام، والتكليف، والعدالة، وجودة القريحة، والاجتهاد" (الفتيا ومناهج الإفتاء ص: ٢٦) وقال ابن الصلاح: "يكون

مكلفا مسلما ثقة مأمونا، متنزها من أسباب الفسق ومسقطات المروءة، لأن من لم يكن كذلك فقوله غير صالح للاعتماد، وإن كان من أهل الاجتهاد، ويكون فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف و الاستنباط، متيقظا" (أدب الفتوى ص ٣٥)

قلت: هذه شروط لا محيد عنها لمن كان قوله في معرض التشريع حتى يصير جديرا بالثقة والاعتناء، وأما الاجتهاد فاستدل الأشقر على اشتراطه بقوله عز وجل: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن). قال: "قد حرم الله تعالى عمل الافتراء و التقول عليه بلا علم، والإفتاء قول على الله، فلابد أن يكون عن علم وبصيرة ولا مندوحة لذلك عن الاجتهاد وشروطه". (الفتيا ص ٢٩)

شروط المفتي المطلق

قد مضى فيما سبق أن هناك شروطا يتفرد بها المفتي المطلق، فهي كما يلي:

يكون قيما بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية، عالما بما يشترط في الأدلة ووجوه دلالتها، وبكيفية اقتباس الأحكام منها، وذلك يستفاد من أصول الفقه.

وعارفا من علم القرآن وعلم الناسخ و المنسوخ، وعلم الحديث، وعلم النحو، وعلم اللغة، واختلاف العلماء واتفاقهم بالقدر الذي يتمكن به من الوفاء بشروط الأدلة والاقتباس منها، ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك، عالما بالفقه، ضابطا لأمهات مسائله وتفاريعه المفروغ من تمهيدها. (انظر أدب الفتوى لابن الصلاح ص ٣٥–٣٦)

بعض ما يجمل بالمفتي

مع وفاء كل هذه الشروط ينبغي للمفتي أن لا يغفل أيضا عن الاستعانة والاستشارة بأهل العلم و الفضل، قال ابن القيم: "إن كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغي له أن يشاوره، وكانت المسألة تنزل بعمر فيستشير لها من حضر من الصحابة، وربما جمعهم وشاورهم، حتى كان يشاور ابن عباس، وهو إذ ذاك أحدث القوم سنا، وكان يشاور عليا وعثمان وطلحة و الزبير وابن عون وغيرهم". (اعلام الموقعين ٦/١٩٦)

وقال: "وحقيق بالمفتي أن يكثر الدعاء لنفسه بالحديث الصحيح: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". (صحيح مسلم: ٧٧٠)

ومن أحكام وآداب المفتي

والآن إلى أحكام وآداب يحسن بالمفتي أن يحافظ عليها ويتحلى بها ويراقب الله فيها، وهي كالآتي:

١-ينبغي له أن يحسن زيه، ويتقيد في ذلك بالتوجيهات الشرعية، لأن ذلك أدعى لقبول قوله، فإن تأثير المظهر في عامة الناس لا ينكر.

٢-وينبغي أن يحسن سيرته ويجعل أعماله موافقة للشريعة، ويضبط أقواله بميزان الشرع "لأن الأنظار إليه مصروفة، والنفوس على الاقتداء بهدي موقوفة. (الفتيا ص٦٠-٦١)

٣-قال ابن الصلاح: "الأولى لمن تصدى للفتوى أن يتبرع بذلك، ويجوز له أن يرتزق على ذلك من بيت المال". (أدب الفتوى ص ٧١) وقال ابن القيم: "وإن كان غنيا عنه ففيه خلاف (الإعلام ٤/٢٣٢ بيسير من التصرف) قلت: الأحوط الإمساك إذا لم يكن إليه مفتقرا لقوله عليه السلام: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه". (رواه البخاري ومسلم كذا عزاه في "جامع العلوم والحكم" ص ١٢١)

وقال ابن القيم أيضا: "وأما الهدية ففيها تفصيل؛ فإن كانت بغير سبب الفتوى فلا بأس بقبولها، والأولى أن يكافئ عليها-قلت: لفعل النبي عليه السلام ذلك-، وإن كانت بسبب الفتوى، فإن كانت وسيلة إلى مخالفة فتوى غيره وهي حق لم يجز له القبول، وإلا كراهت له، إذ هي تشبه المعاوضة على الفتوى". (الإعلام ٤/٢٣١ بتصرف) أما أخذ الأجرة على الفتوى فرفضه ابن القيم إطلاقا، ولو احتال لجوازه المحتالون. (انظر الإعلام لابن القيم)

قلت: إذا كان المفتي في دولة ليس فيها بيت المال فحكمه حكم الرموز الدينية الأخرى، كما أخذنا ذلك عن أعلامنا.

٤-إذا كان المفتي قاضيا، فقال ابن القيم: "لا يفتي في الأحكام المتعلقة به، لأن فتياه تصير كالحكم منه على الخصم، ولا يمكن نقضه وقت المحاكمة، ولأنه قد يتغير اجتهاده وقت الحكومة، أو تظهر له قرائن لم تظهر له عند الافتاء، فإن أصر على فتياه والحكم بها حكم بخلاف ما يعتقد صحته، وإن حكم بخلافها شفع الخصم عليه واتهمه بأنه يحكم بخلاف ما يعتقد ويفتي به. (الإعلام ٤/٢٢٠-٢٢١) قلت: وبذلك يتجلى أنه لو كان الأمر يتعلق المسائل التي لا مجال فيها للتغير الاجتهادي لنصاعة الأدلة وقوة البراهين فلا بأس على المفتي القاضي أن يقوم بعمل الإفتاء، ثم يقضي حسب فتياه، والله بأصوب الأمور أعلم.

٥- ليس له أن يفتي في كل حالة تغير خلقه، وتشغل قلبه، وتمنعه من التثبت والتأمل، كحالة الغضب أو الجوع أو العطش أو الحزن أو الفرح الغالب أو النعاس أو الملالة أو المرض أو الحر المزعج أو البرد المؤلم أو مدافعة الأخبثين.

فإن أفتى في شيء من هذه الأحوال، وهو يرى أن ذلك لم يمنعه من إدراك الصواب صحت فتياه، وإن خاطر بها فالترك أولى. (أدب الفتوى ص ٦٨-٦٩)

٦- لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، ومن عُرف بذلك لم يجز أن يستفتى، والتساهل قد يكون من قبل قلة التروي والتأمل، ومن توهمه أن الإسراع براعة، وذلك جهل، لأن يبطئ ولا يخطئ أكمل به من أن يعجل فيضل ويضل، وقد يكون بدافع الأغراض الفاسدة والمطامع الوافدة، فأما إذا صح قصده وراء هذا التساهل، فذلك حسن يشهد له قول الله تعالى لأيوب عليه السلام: (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث). (ص: ٤٤) فخلصه الله من مغبة اليمين بحيلة لا قبح فيها، وورد عن الثوري: "إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد". (أدب الفتوى ص ٦٥-٦٧)

٧- إذا لم يكن في الناحية مفت غيره، قال ابن الصلاح: "تعين عليه الجواب، وإن كان في الناحية غيره، فإن حضر هو وغيره واستفتيا معا فالجواب عليهما على الكفاية، وإن لم يحضر غيره، فهل يجوز له الإحالة والرد؟ يوضح الأمر ما روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، كما رواه ابن الصلاح بسنده أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله عليه السلام يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول. وأورد ابن عبد البر عنه: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث حديثا إلا ودّ أن أخاه كفاه. (جامع البيان ٢/١١٢١، وانظر للاستزادة باب تدافع الفتوى من هذا السفر الخطير) وقال عبد الله: إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون، وقال ابن عيينة: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما. (جامع البيان ٢/١١٢٣-١١٢٤)

٨- الرجوع عن الفتوى: وكان مألوفا فيما بين السلف الصالح، وقد ثبت تراجع النبي عليه السلام أفقه البشرية لشرعة ربه، وثبت تراجع أبي هريرة وابن عمر وابن مسعود، ومسعود بن الحكم الثقفي، وهم أعلام هذه الأمة، مما يوحي بأنه لا يغض التراجع من منزلة المفتي شيئا، كما "لا يعكر النقر صفاء البحر"، وينظر تفصيل ذلك في كتاب الخطيب "الفقيه والمتفقه" ومن أغرب ما حكي في الباب أن الحسن بن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة استفتي في مسألة فأخطأ

فيها، ولم يعرف الذي أفتاه، فاكترى مناديا، فنادى: إن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن بن زياد في مسألة بشيء فليرجع إليه، فلبث أياما لا يُفتي حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمه أنه أخطأ وأن الصواب كذا وكذا. (أدب الفتوى ص ٦١)

٩- التواد والتحاب فيما بينهم، وإن فرّق الخلاف الطبيعي وجهاتهم ومذاهبهم، ولا بأس بأن يؤثر الخلاف على وحدة وِجهاتهم، وتوافق مسالكهم وتورادمشاربهم مالم يفض ذلك إلى تذامر القلوب بعضها عن بعض وتنافرها بعضها عن بعض، مما قد يتسبب في تراشقهم في السباب والشتم، وتراميهم باللوم والطعن، وتسفيه بعضهم بعضا ومصادرة بعضهم جهود بعض، فينبغي لهم في آونة الخلاف أن يقتفوا سنن الذين خلوا من قبلهم في توادهم وتعاطفهم رغم اختلاف الرؤى فيما بينهم، نقل ابن عبد البر عن عبد العزيز بن أبي حازم، قال: سمعت أبي يقول: "العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه، حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويزهي على من هو دونه فهلك الناس". (جامع بيان العلم وفضله ٢/١٠٩٣)

وقال النبي عليه السلام فيما رواه الزبير عنه: "دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين....". (الترمذي: ٢٥١٠، وحسنه الألباني)

وفي الباب عن السلف الكثير الكثير، فينبغي أن لا يغيب بالناس أن العلماء مبلغون عن الله جل ذكره، فلا يحسن بهم التحاسد الذي يدنس الشريعة الغراء، وينفر القلوب منها، وتعود تبعة ذلك عليهم، فإلى السلم والحنان يا دعاة الإسلام!

(يتبع)

***

التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي

(٤)

عبد الله بن عارف جاويد
المدينة المنورة

المبحث الرابع: صدقة الزوجة من مال الزوج

اختلف الفقهاء حول صدقة الزوجة من مال زوجها على قولين: الجواز وعدم الجواز، وذلك لورود الأحاديث المتعارضة في هذا الموضوع.

المطلب الأول: القائلون بجواز صدقة الزوجة من مال الزوج وأدلتهم

اختلف القائلون بجواز تبرع الزوجة من مال الزوج على قولين.

القول الأول: يجوز للمرأة أن تتبرع من مال زوجها بما أذن فيها صريحا، و بما لم يأذن فيه، ولم ينه عنه إذا علمت رضاه به، بشرط أن لا تكون مفسدة.

وهو قول الأحناف[١] والمالكية[٢] والشافعية[٣] ورواية عن الإمام أحمد[٤] وبه قال البخاري حيث بوب في الصحيح: "باب أجر المرأة إذا تصدقت، أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة"[٥].

أدلتهم:

١-عن عائشة، رضي الله عنها، قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة لها أجرها وله مثله، وللخازن مثل ذلك، له بما اكتسب ولها بما أنفقت"[٦].

قال العيني في عمدة القاري: "قال بعضهم هذا على مذهب الناس بالحجاز وبغيرها من البلدان، إن رب البيت قد يأذن لأهله وعياله وللخادم في الإنفاق بما يكون في البيت من طعام أو أدام، ويطلق أمرهم فيه إذا حضره السائل ونزل الضيف، وحضهم رسول الله على لزوم هذه العادة، ووعدهم الثواب عليه، وقيل هذا في اليسير الذي لا يؤثر نقصانه ولا يظهر، وقيل هذا إذا علم منه أنه لا يكره العطاء فيعطي ما لم يجحف وهذا معنى قوله غير مفسدة"[٧].

---

[١] عمدة القاري ٨/٤١٩-٤٢٠
[٢] الاستذكار ١٤/٢٨١
[٣] المجموع ٦/١٥٧
[٤] المغني ٦/٦٠٥
[٥] صحيح البخاري ص: ٢٩٢
[٦] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الزكاة (٢٤)، باب أجر المرأة إذا تصدقت أو أطعمت من بيت زوجها غير مفسدة (٣٦) برقم: ١٤٤٠ ص: ٢٩٢
[٧] عمدة القاري ٨/٤٢٠

وقال النووي: "اعلم أنه لا بد للعامل وهو الخازن وللزوجة والمملوك من إذن المالك في ذلك، فان لم يكن إذن أصلا فلا أجر لأحد من هؤلاء الثلاثة، بل عليهم وزر بتصرفهم في مال غيرهم بغير إذنه، والإذن ضربان أحدهما الإذن الصريح في النفقة والصدقة، والثاني الإذن المفهوم من اطراد العرف والعادة، كإعطاء السائل كسرة ونحوها مما جرت العادة به، واطرد العرف فيه وعلم بالعرف رضاء الزوج والمالك به، فإذنه في ذلك حاصل، وان لم يتكلم، وهذا إذا علم رضاه لاطراد العرف وعلم أن نفسه كنفوس غالب الناس في السماحة بذلك والرضا به، فإن اضطرب العرف وشك في رضاه أو كان شخصا يشح بذلك وعلم من حاله ذلك أو شك فيه لم يجز للمرأة وغيرها التصدق من ماله إلا بصريح إذنه... معنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فأشار صلى الله عليه وسلم إلى أنه قد يعلم رضا الزوج به في العادة، ونبه بالطعام أيضا على ذلك لأنه يسمح به في العادة بخلاف الدراهم والدنانير في حق أكثر الناس وفي كثير من الأحوال"[1].

٢- عن أسماء بنت أبي بكر أنها جاءت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت يا نبِي الله ليس لي شيء إلا ما أدخل علي الزبير فهل علي جناح أن أرضخ مما يدخل علي فقال: ارضخي ما استطعت ولا توعي فيوعي الله عليك[2].

قال النووي: "هذا محمول على ما أعطاها الزبير لنفسها بسبب نفقة وغيرها، أو مما هو ملك الزبير، ولا يكره الصدقة منه، بل رضي بها على عادة غالب الناس .... قوله صلى اللّه عليه وسلم: (اِرْضَخِي مَا اسْتَطَعْت) معناه: مما يرضى به الزبير، وتقديره: أن لك في الرضخ مراتب مباحة بعضها فوق بعض، وكلها يرضاها الزبير فافعلي أعلاها، أو يكون معناه ما استطعت مما هو ملك لك"[3].

ووجه الدلالة من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم حثها على النفقة و حذرها من الشح والإمساك، ولم يأمرها باستئذان الزبير لما يعرفه من حاله، فكان كالإذن العام.

٣- عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنه سمعه يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ، وهو يضحك، قالت فقلت: وما يضحكك يا رسول الله، قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة، أو مثل الملوك على

---

[1] شرح مسلم ٧/١١٢-١١٣

[2] أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الزكاة (١٢)، باب الحث على النفقة وكراهة الإحصاء (٢٨) برقم: ١٠٢٩ ص: ٤٥٦

[3] شرح مسلم ٧/١١٩

الأسرة، شك إسحاق، قالت، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم... "[١].

ومن الفوائد التي ذكرها هنا شراح الحديث إباحة ما قدمته المرأة للضيف من مال زوجها، لأن الأغلب أن الذي في بيت المرأة من مال زوجها، وأن الوكيل والمؤتمن إذا علم أنه يسر صاحبه ما يفعله من ذلك جاز له فعله.

القول الثاني: جواز تبرع الزوجة من مال زوجها ولو كره. وهو قول ابن حزم. قال: "وللمرأة حق زائد، وهو أن لها أن تتصدق من مال زوجها أحب أم كره، وبغير إذنه غير مفسدة، وهي مأجورة بذلك، ولا يجوز له أن يتصدق من مالها بشيء أصلا إلا بإذنها"[٢].

دليله:

عن همام قال: سمعت أبا هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فله نصف أجره"[٣].

جمع الجمهور بين هذا الحديث وحديث عائشة بأوجه متعددة، منها:

ما قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم: "وأما قوله صلى الله عليه وسلم "وما أنفقت من كسبه من غير أمره فان نصف أجره له" فمعناه من غير أمره الصريح في ذلك القدر المعين ويكون معها إذن عام سابق متناول لهذا القدر وغيره، وذلك الإذن الذي قد بيناه سابقا إما بالصريح وإما بالعرف، ولابد من هذا التأويل لأنه صلى الله عليه وسلم جعل الأجر مناصفة، وفي رواية أبى داود فلها نصف أجره، ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر فتعين تأويله"[٤].

٢- قال ابن حجر: "ويحتمل أن يكون المراد بالتنصيف في حديث الباب الحمل على المال الذي يعطيه الرجل في نفقة المرأة، فإذا أنفقت منه بغير علمه كان الأجر بينهما للرجل، لكونه الأصل في اكتسابه، ولكونه يؤجر على ما ينفقه على أهله، كما ثبت من حديث سعد بن أبي وقاص وغيره، وللمرأة، لكونه من النفقة التي تختص بها، ويؤيد هذا الحمل ما أخرجه أبو داود عقب حديث أبي هريرة هذا، قال في المرأة تصدق من بيت زوجها، قال لا إلا من قوتها، والأجر بينهما، ولا يحل لها أن تصدق من مال زوجها إلا بإذنه، قال أبو داود في رواية أبي الحسن بن العبد

---

[١] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الجهاد والسير (٥٦)، باب الدعاء بالجهاد وشهادة الرجال والنساء (٣) برقم: ٢٧٨٨، ص: ٥٦٩

[٢] المحلى ٣١٨/٨

[٣] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب البيوع (٣٤)، باب قول الله تعالى: وأنفقوا من طيبات ما كسبتم (١٢) برقم: ٢٠٦٦، ص: ٤١١

[٤] شرح صحيح مسلم ١١٢/٧-١١٣

عقبة هذا يضعف حديث همام، ومراده أنه يضعف حمله على التعميم، أما الجمع بينهما بما دل عليه هذا الثاني فلا"[١].

٣- واستدلوا أيضا بما روى مسلم عن عمير مولى آبي اللحم قال أمرني مولاي أن أقدد لحما فجاءني مسكين فأطعمته منه فعلم بذلك مولاي فضربني، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له فدعاه. فقال: لم ضربته، فقال: يعطي طعامي بغير أن آمره. فقال الأجر بينكما"[٢].

فإذا أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصرف الخادم في العطاء، فالزوجة من باب أولى، وفرق بعضهم بين الزوجة والخادم بأن الزوجة لها حق في مال الزوج، ولها النظر في بيتها، فجاز لها أن تتصدق بما لا يكون إسرافا لكن بمقدار العادة، وما يعلم أنه لا يؤلم زوجها، فأما الخادم فليس له التصرف في متاع مولاه ولا حكم، فيشترط الإذن في عطية الخادم دون الزوجة، ومع ذلك أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصرفه فالزوجة أولى.

وأجاب النووي عن الحديث بأنه محمول على أنه ظن أن سيده يرضى بذلك القدر فلم يرض، لكونه كان محتاجا إليه أو لمعنى آخر، فيثاب السيد على إخراج ماله، ويثاب العبد على نيته، فكان قول رسول الله صلى الله عليه و سلم " الأجر بينكما" تحريضا و تحفيزا على إمضاء الصدقة[٣].

المطلب الثاني: القائلون بعدم جواز صدقة الزوجة من مال الزوج إلا بإذنه وأدلتهم.

روي عن الإمام أحمد أنه قال: لا يجوز للمرأة الصدقة من مال زوجها إلا بإذنه[٤].

أدلة هذا القول:

١- عن أبي أمامة الباهلي: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم في خطبته عام حجة الوداع يقول: "لا تنفق امرأة شيئا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل يا رسول الله! ولا الطعام، قال ذاك أفضل أموالنا"[٥].

حكم الحديث: إسناده صحيح، قال الترمذي: حديث حسن وصححه الألباني.

أجاب الجمهور عنه بما يأتي:

---

[١] فتح الباري ٩/٢٩٧

[٢] أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الزكاة (١٢)، باب ما أنفق العبد من مال مولاه (٢٦) برقم: ١٠٢٥، ص: ٤٥٥

[٣] المجموع ٦/١٥٧

[٤] المغني ٦/٦٠٦

[٥] أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة (٥)، باب في نفقة المرأة من بيت زوجها (٣٤) برقم: ٦٧٠ ص: ١٦٨

١- قالوا إن النهي في حديث أبي أمامة للكراهية فقط، و القرينة الصارفة إلى ذلك حديث أبي هريرة، وحيث أسماء، وكراهة التنزيه لا تنافي الجواز، ولا تستلزم عدم استحقاق الثواب.[١]

٢- وذهب بعضهم إلى أن ذلك يختلف باختلاف عادات البلاد، وباختلاف حال الزوج من مسامحته ورضاه بذلك أو كراهته له، وباختلاف الحال في الشيء المنفق بين أن يكون يسيرا يتسامح به، وبين أن يكون خطر له في نفس الزوج يبخل بمثله، وبين أن يكون ذلك رطبا يخشى فساده إن تأخر وبين أن يدخر، ولا يخشى فساده.[٢]

٣- عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن امرأة أتته، فقالت: ما حق الزوج على امرأته؟ فقال: لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تعطي من بيته شيئا إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر...."[٣].

أجاب الجمهور عن هذا الحديث بأن إسناده ضعيف فيه ليث بن أبي سليم قال ابن حجر عنه: "صدوق اختلط جدا، ولم يتميز حديثه فترك"[٤].

الترجيح:

من هنا يتبين أن القول الأول هو الراجح والصواب لقوة أدلته، والله أعلم.

الفصل الثالث: أحكام مختلفة حول تبرعات المرأة

المبحث الأول: عطية الأم لأولادها

المطلب الأول: التسوية و التفضيل في عطية الأولاد

اختلف العلماء فيما إذا أعطت الأم أو الأب شيئا لأبنائها هل يجب التسوية بينهم أم يجوز التفضيل؟

القول الأول: يجب على من وهب شيئا لأولاده أن يسوي بينهم. وهذا قول البخاري[٥] وبعض المالكية، وطاووس وسفيان الثوري وإسحاق[٦] وأحمد[٧] وابن حزم[٨].

---

[١] نيل الأوطار ٣٢٣/٧

[٢] عمدة القاري ٤٢٠/٨

[٣] أخرجه الطيالسي في مسنده برقم ٢٠٦٣ ٤٥٦/٣

[٤] تقريب التهذيب برقم ٥٧٢١، ص: ٨١٨

[٥] صحيح البخاري ص: ٥١٧

[٦] فتح الباري ٢١٤/٥

[٧] المغني ٢٥٦/٨

[٨] المحلى ١٤٢/٩

القول الثاني: يستحب لمن وهب شيئا لأولاده أن يسوي بينهم. وهذا قول أبو حنيفة ومالك والراجح من قولي الشافعي[١].

أدلة القول الأول:

١- عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير، رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: "أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال فرجع فرد عطيته"[٢].

٢- كما احتجوا بأنها وسيلة إلى واجب البر بالوالدين، لأن قطع الرحم والعقوق محرمان، فما يؤدي إليهما يكون محرما، والتفضيل بين الأولاد يؤدي إليهما[٣].

أدلة القول الثاني:

١-استدلوا بنحل بعض الصحابة بعض أبنائهم كنحل أبي بكر الصديق لعائشة رضي الله عنهما، فإنها قرينة ظاهرة بأن الأمر في الحديث المتقدم للندب[٤].

٢- انعقاد الإجماع على جواز عطية الرجل ماله لغير ولده، فإذا جاز له أن يخرج جميع ولده من ماله جاز له أن يخرج عن ذلك بعضهم.

وأجابوا عن حديث النعمان بأجوبة عشرة ذكرها ابن حجر في فتح الباري ثم رد عليهم.

الراجح: الذي يظهر أن الراجح هو القول بوجوب تسوية الأم أو الأب بين الأولاد في العطية، إلا أن تستدعي الضرورة أن يخص بعضهم لحاجته، كفقره أو تفرغه للدراسة أو مرضه، وعلى مثل هذا تحمل الروايات التي تحدثت عن تفضيل بعض الصحابة لبعض أبنائهم في العطية[٥].

واختلف الفقهاء في كيفية التسوية بين الإناث والذكور في العطية على قولين:

القول الأول: التسوية، أن تعطى البنت مثلما يعطى الابن، وبه قال الجمهور.

قال ابن قدامة: "قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن المبارك: تعطى الأنثى مثل ما يعطى الذكر"[٦].

---

[١] شرح معني الآثار ٤/٨٨، المعونة على مذهب عالم المدينة ٢/٥٠٥، جواهر العقود ١/٣٩٧

[٢] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الهبة (٥١)، باب الإشهاد في الهبة (١٣) برقم: ٢٥٨٧، ص: ٥١٨

[٣] فتح الباري ٥/٢١٤

[٤] شرح معني الآثار ٤/٨٨

[٥] المغني ٨/٢٥٨

[٦] المغني ٨/٢٥٩

قال ابن حزم: "ولا يحل لأحد أن يهب، ولا أن يتصدق على أحد من ولده إلا أن يعطي أو يتصدق على كل واحد منهم بمثل ذلك. ولا يحل أن يفضل ذكرا على أنثى، ولا أنثى على ذكر، فإن فعل فهو مفسوخ مردود أبدا، ولا بد"[١].

أدلتهم:

١- طلب النبي صلى الله عليه و سلم من بشير رضي الله عنه التسوية بين الأولاد في العطية من غير استفسار إن كانوا ذكورا أو إناثا، أم ذكورا فقط، يدل على أن لهما نفس الحكم.

قال الطحاوي: "فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألك ولد غيره؟ فقال: نعم. فقال: ألا سويت بينهم؟ ولم يقل ألك ولد غيره ذكر أو أنثى، وذلك لا يكون وإلا وحكم الأنثى فيه كحكم الذكر، ولولا ذلك لما ذكر التسوية إلا بعد علمه أنهم ذكور كلهم. فلما أمسك عن البحث عن ذلك ثبت استواء حكمهم في ذلك عنده"[٢].

٢- ورد حديث صريح ينص على وجوب التسوية بين الذكور والإناث، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء"[٣].

٣- العطية للأبناء عطية في الحياة فاستوى فيها الذكر والأنثى كالنفقة والكسوة[٤].

القول الثاني: العدل، أن يعطى الذكر حظين كالميراث. وبه قال أحمد[٥] وبعض الشافعية و بعض المالكية[٦]، ونقله ابن قدامة عن شريح عطاء وإسحاق وبه يقول[٧].

أدلتهم:

١- أن الله تعالى قسم بينهم فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وأولى ما اقتدي بقسمة الله، ولأن العطية في الحياة أحد حالي العطية فيجعل للذكر منها مثل حظ الأنثيين كحالة الموت - يعني الميراث - يحققه أن العطية استعجال لما يكون بعد الموت[٨].

٢- الذكر أحوج من الأنثى من قبل أنهما إذا تزوجا فالصداق والنفقة ونفقة الأولاد على الذكر، فكان أولى بالتفضيل لزيادة حاجته. وقد قسم الله تعالى الميراث، ففضل الذكر مقرونا بهذا المعنى، فتعلل به ويتعدى ذلك إلى العطية في الحياة[٩].

---

[١] المحلى ١٤٢/٩

[٢] شرح معاني الآثار ٨٩/٤

[٣] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الهبات، جماع أبواب عطية الرجل ولده، باب السنة في التسوية بين الأولاد في العطية (٩)، برقم: ١٢٠٠٠، ٢٩٤/٦

[٤] المغني ٢٥٩/٦

[٥] المغني ٢٥٩/٦

[٦] فتح الباري ٢١٤/٥

[٧] المغني ٢٥٩/٨

[٨] المغني ٢٥٩/٨

[٩] المغني ٢٦٠/٨

٣- حديث بشير قضية في عين وحكاية حال لا عموم لها، وإنما ثبت حكمها فيما ماثلها، ولا نعلم حال أولاد بشير هل كان فيهم أنثى أو لا؟ ولعل النبي صلى الله عليه و سلم قد علم أنه ليس له إلا ولد ذكر، ثم تحمل التسوية على القسمة على كتاب الله تعالى، ويحتمل أنه أراد التسوية في أصل العطاء لا في صفته فإن القسمة لا تقتضي التسوية من كل وجه[١].

الترجيح:

الراجح هو القول الأول، لأن الأحاديث التي وردت في التسوية بين الأولاد لم تفرق بين الذكور والإناث، خاصة وأن ابن سعد ذكر في ترجمة بشير بن سعد بن ثعلبة الذي أمره النبي صلى الله عليه و سلم بالتسوية بين أبنائه بأن له بنتا اسمها أبية حيث قال: "وكان لبشير من الولد النعمان وبه كان يكنى، وأبية، وأمهما عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة"[٢].

المطلب الثاني: اعتصار الأم الهبة

اختلف الفقهاء في جواز اعتصار الأم ما وهبته لأولادها على أقوال:

القول الأول: يجوز ذلك مطلقا. وبه قال الشافعي[٣] وابن حزم[٤].

القول الثاني: يجوز ذلك بشروط. وبه قال مالك[٥] والحنابلة[٦].

القول الثالث: لا يجوز الرجوع مطلقا. وبه قال الحنفية[٧].

استدل الفقهاء على جواز الرجوع في الهبة بأحاديث متعددة منها:

١- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "لا يرجع أحد في هبته إلا والد من ولده والعائد في هبته كالعائد في قيئه"[٨].

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح

٢- عن ابن عمر وابن عباس يرفعان الحديث إلى النبي صلى الله عليه و سلم قال: "لا يحل لرجل يعطي عطية ثم يرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده ومثل الذي يعطي عطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم عاد في قيئه"[٩].

قال الشيخ الألباني: صحيح

---

[١] المغني ٨/٢٦٠

[٢] الطبقات الكبرى ٣/٤٩٣

[٣] جواهر العقود ١/٤٠٢

[٤] المحلى ٩/١٢٧

[٥] المدونة الكبرى ٤/٤٠٩

[٦] المغني ٨/٢٦٣-٢٦٤

[٧] المبسوط ١٢/٥٤

[٨] أخرجه النسائي في المجتبى، كتاب الهبة (٣٢)، باب رجوع الوالد فيما يعطي ولده (٢)، برقم ٣٦٨٩، ص: ٥٧٤

[٩] أخرجه النسائي في المجتبى، كتاب الهبة (٣٢)، باب رجوع الوالد فيما يعطي ولده (٢)، برقم ٣٦٩٠، ص: ٥٧٤

وهذا الخطاب يشمل الأب والأم على حد سواء، لأن الأم والدة كما أن الأب والد، قال ابن قدامة: "الأم كالأب، في الرجوع في الهبة"[1].

وشروط الرجوع عند المالكية ثلاثة:

١- أن لا يكون مراد الأم بالهبة الصدقة.

٢- أن لا يكون ولدها يتيما.

٣- أن لا تريد بهبتها الصلة والحنان لكون ولدها محتاجا، أو بائنا من أبيه، أو خاملا بين الناس[2].

وذكر ابن قدامة للرجوع في الهبة أربعة شروط.

١- أن تكون باقية في ملك الابن.

٢- أن تكون العين باقية في تصرف الولد بحيث يملك التصرف في رقبتها، فإن استولد الأمة لم يملك الأب الرجوع فيها.

٣- أن لا يتعلق بها رغبة لغير الولد.

٤- أن لا تزيد زيادة متصلة كالسمن والكبر وتعلم صنعة[3].

أدلة القول الثالث:

١- عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه"[4].

١- لأن الهبة قد تمت لذي الرحم المحرم ملكا وعقدا، فلا يملك الرجوع فيه، كالابن إذا وهب لأبيه أو الأخ لأخيه.

٢- ولأن في الرجوع معنى قطيعة الرحم، وهذا موجود في حق الوالد مع ولده؛ لأنه بالرجوع يحمله على العقوق وإنما أمر الوالد أن يحمل ولده على بره[5].

والأم كالأب في العطية.

الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح هو القول الأول لقوة الأدلة، والله اعلم.

(يتبع)

***

[1] المغني ٨/٢٦٢

[2] الشرح الكبير ٤/١١١، المعونة على مذهب عالم المدينة ٢/٥٠٤، المدونة الكبرى ٤/٤٠٩

[3] المغني ٨/٢٦٤–٢٦٦

[4] أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الهبة (٥١) وفضلها، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها (١٤) برقم: ٢٥٨٩ ص: ٥١٨

[5] المبسوط ١٢/٥٥

الأدب العربي

المتنبي
مالئ الدّنيا وشاغل النّاس

(٢)

وسيم المحمدي/ المدينة المنورة

أبرز القضايا المتعلقة بحياة المتنبي

أحاول أن أتناول هنا بعض أبرز القضايا المتعلقة بحياة المتنبي بإيجاز شديد، وهي:

- نسب المتنبي، وهل كان المتنبي لقيطا وولد السفاح؟

يقول المتنبي[١]:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البا حث والنجل بعض من نجله
وإنما يذكـرُ الجدودَ لهم من نفروه وأنفدوا حِيَله
إنّ الكذابَ الذي أكادُ به أهونُ عندي من الذي نقله

لقد حاول الدكتور طه حسين[٢] أن يشكك في نسب المتنبي بدعوى أنه لم يشر إلى ذلك في شعره، فلم يذكر فيه أباه ولا أمه، وجميع من ترجم للمتنبي من دارسي الأدب ومؤرخيه يقولون: إنه عربي الأب والأم، وقد تحدّثوا عن أبيه وقالوا: إنه كان سقاء يلقّب بعيدان السّقّاء، ولم يطعنوا في نسبه.

والحجة التي اعتمد عليها طه حسين في الطعن في نسب المتنبي حجة واهية؛ لأن الشعراء الذين لم يذكروا آباءهم وأمهاتهم في أشعارهم كثير، ولم يكن ذلك سبيلا إلى الطعن في أنسابهم.

ويزيدنا الثعالبي معرفة بالمتنبي وأبيه - وهو أكثر مؤرخي الأدب معاصرة له فيقول: "إن أباه سافر به إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها، ومن مدرها إلى وبرها، ويسلمه في المكاتب ويردده في القبائل - ومخايلُه نواطق الحسنى عنه، وضوامنُ النجح فيه - حتى توفي أبوه، وقد ترعرع أبو الطيب، وشعر، وبرع "[٣].

ويذهب المحقق الكبير الأستاذ محمود شاكر بعد نظر في الأدلة القوية والقرائن الراجحة إلى أن المتنبي علوي النسب، وقد اضطره العلويون إلى ستر هذا النسب بعد أن فرقوا بين أمه وأبيه[٤].

---

(١) ديوان المتنبي ص٢٣٤.
(٢) ينظر: مع المتنبي ص١٢ وما بعدها.
(٣) يتيمة الدهر ١/١٤١.
(٤) ينظر: المتنبي ص١٣٧-١٦١.

ومفاد تحقيق عبد الغني الملاح في كتابه الشهير "المتنبي يسترد أباه" أنه الابن الشرعي للإمام محمد المهدي القائم بالحجة ابن الإمام الحسن العسكري.

والذي ينظر في كلام الأستاذ محمود شاكر يرى ـ والله أعلم ـ كفة الصواب راجحة إليه؛ لقوة الأدلة ووضوح القرائن، إلا أن الذي لا شك فيه أن المتنبي ولد في بيت فقير لأب فقير خامل الذكر شأن أكثر العباقرة الذين يولدون في بيئات الفقر والحرمان.

والمعروف أنه كان للمتنبي من الأعداء من يصعب عدّهم لكثرتهم، ولو عرفوا شيئا من سقوط نسبه لما سكتوا عنه.

فلقد ثلبوه كثيرا، وعرّضوا بأخلاقه وسلوكه، وما استطاع واحد منهم أن ينال من أبيه أو أمه أو أسرته على الرغم من الفقر الذي كانت تتلفع به، والحرمان الذي صاحب مولده وطفولته وصباه[١].

فاتضح بذلك أن المتنبي لم يكن ولد سفاح، ولم يكن لقيطا رغم زعم الدكتور طه حسين؛ ولاشك أن فكرته هذه كانت لقيطة عن بعض المستشرقين تبنّاها، وشوّش بها على الأدباء والنقاد المشتغلين بالمتنبي وشعره!!.

- هل كان المتنبي قُرمُطيّا؟

ذهب الدكتور طه حسين إلى أن المتنبي كان قرمُطيّا، ثم خانهم في آخر أيامه فقتلوه[٢].

ويقرّر الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين أن أبا الطيب كان على العكس من ذلك تماما، فقد كان عدوا للقرامطة، وخصما للباطنية يناصبهم العداء، ويزيد الدكتور محمد حسين على ذلك أن القيم التي نادى بها المتنبي في شعره تناقض مبادئ الشيعة في الولاية ـ أي: الإمامة ـ، وتنكر عصمة الإمام والانقياد لأمره[٣].

وينفي الأستاذ عبد الوهاب عزام أيضا أن المتنبي كان قرمطيا، ويقرر أن قرمطية المتنبي دعوى يُعوزُها الدليل[٤].

ويذهب المحقق الفاضل الأستاذ محمود شاكر ـ كما سلف قريبا ـ مذهبا مغايرا الكل ما سلف من رأي، ويرى أن المتنبي علوي النسب، اضطره العلويون إلى ستر هذا النسب بعد أن فرقوا بين أمه وأبيه[٥].

---

(١) ينظر: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين ص٣١.
(٢) ينظر: مع المتنبي ص٤٢ وما بعدها.
(٣) ينظر: المتنبي والقرامطة ص٣٤.
(٤) ينظر: ذكرى أبي الطيب ص٢٤٢-٢٤٣.
(٥) ينظر: المتنبي ص١٣٧-١٦١.

والذي يظهر - والله أعلم - أن أبا الطيب لم يكن بمنأى عن الفكر القرمطي في مطلع عمره وبداية حياته الشعرية، فقد كان يتأثر بمعانيهم ويستعمل مصطلحاتهم، ثم بدأ يبتعد عن فكرهم، ولكن يتبنى سلوكهم الدموي لفترة غير قصيرة من شبابه، ثم أقلع عن ذلك تماما، وشرع يسخر منهم مع بداية اتصاله بسيف الدولة الحمداني، وظلّ كذلك حتى نهاية عمره[١].

- نبوة المتنبي، وهل ادعى المتنبي النبوة؟ ولماذا لقّب بالمتنبي؟

هذه أشهر القضايا المتعلقة بحياة المتنبي على الإطلاق. وقد شغلت الباحثين فيه، والدارسين حياته منذ قديم.

فذهب بعض الدارسين إلى أن المتنبي تنبأ وادعى النبوة في بادية السّماوة، فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الإخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه، قالوا: ولهذا لقب أبو الطيب بالمتنبي[٢].

وذهب الدكتور عبد الوهاب عزام إلى أن المتنبي لم يتنبأ، وقرر أن الخبرين اللذين جاءا في يتيمة الدهر للثعالبي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ليسا من الصراحة بحيث يحتج بهما، ويرجح الدكتور أن اللقب بالمتنبي لحق بأبي الطيب بسبب تشبيه نفسه بالمسيح بين اليهود، وبصالح في ثمود في قوله[٣]:

مامُقامي بأرض نَخلة إلا	كمقام المسيح بين اليهودِ
مفرشي صهوة الجواد ولكن	قميصي مسرودةٌ من حديدِ
لأْمَةٌ فاضةٌ أَضاةٌ دِلاصٌ	أحكمت نسجَها يدا داودِ
أنا في أمة تداركها الله	غريب كصالحٍ في ثَمودِ[٤]

وأما طه حسين فقد تنكر عباراته دعوى النبوة، وتنفي التنبوء، ولكن مضمونها يُلقي شبهات لا يصح معها مطلق النفي[٥].

وقد درس الأستاذ محمود شاكر رحمه الله هذه القضية دراسة تفصيلية تحليلية كعادته، فنفى بعد دراسة موضوعية علمية دعوى المتنبي النبوة، وفنّد الأخبار التي رويت في هذا السبيل، وبيّن ضعفها، وكشف عوارها سندا ومتنا، وبخاصة ما نسب إليه من معجزات وقرآن، ورأى أنه لقب بالمتنبي؛ لكثرة ذكره الأنبياء في شعره، ولتشبيه نفسه بهم، ولكثرة خصومه من الشعراء الذين خافوا على أرزاقهم.

---

(١) ينظر: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين ص٣٧.

(٢) وسيأتي في كلام محمود شاكر ــ رحمه الله ــ أن لقب المتنبي أطلق عليه بعد خروجه من السجن بعدة سنوات.

(٣) ديوان المتنبي ص١٤.

(٤) ينظر: ذكرى أبي الطيب ص٥٢ وما بعدها.

(٥) ينظر: مع المتنبي ص٩٩ وما بعدها.

ويضيف الأستاذ محمود شاكر أن شعر أبي الطيب قد خلا من أية إشارة إلى ذلك، وأن لقب المتنبي أطلق عليه بعد خروجه من السجن بعدّة سنوات[١].

وإذا رجعنا إلى ابن جني رفيق المتنبي في آخر أيامه وشارح ديوانه بعد قراءته عليه، وجدناه يكشف لنا عن سرّ تلقبه بالمتنبي ناقلا عن المتنبي نفسه.

يقول ابن جني: "سمعت أبا الطيب يقول: إنما لقبت بالمتنبي لقولي[٢]:

أنا ترب الندى وربّ القوافي وسِمامُ العِدا وغيظُ الحسودِ

أنـا في أمـة تداركـهـا الله غريبٌ كصالح فِي ثَمود"[٣]

وهذا الرأي هو الذي تبنّاه من نفى عن أبي الطيب تهمة النبوة، وفي مقدّمتهم الأستاذ عبد الوهاب عزام، والأستاذ محمود شاكر، وغيرهما.

ويقول أبو العلاء المعري ــ وهو من أشد المعجبين بالمتنبي ــ: "حُدّثتُ أن المتنبي إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال: هو من النبوة، أي: المرتفع من الأرض، وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه...، وإنما هي مقادير يظفر بها من وفق، ولا يراع بالمجتهد أن يخفق، وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متألها...، وإذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبئ عن اعتقاد الإنسان؛ لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق. ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينا، وإنما يريد أن يصل إلى ثناء أو غرض. ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون، وفيما بطن ملحدون"[٤].

وقد أنصف العقاد حينما علق على هذا الخبر قائلا: "فأبو العلاء يقف موقف الشال المتردّد في قبول ما نسب إلى أبي الطيب من دعوى النبوّة، ولم يكن بين أبي العلاء وأبي الطيب غير فترة قصيرة من الوقت؛ إذ كان قتل هذا قبل مولد ذاك بنحو تسع سنوات[٥]، فهو أحق أن يتثبّت من صدق الخبر لو كان إلى التثبّت منه سبيل.

وإذا كان هذا الحافظ الثقة على علمه بأخبار المتنبي، وإعجابه به، وقربه منه، وقلة تهيّبه لدعوى النبوّة؛ يشكّ ويتردّد؛ فغاية جهد التاريخ والأدب أن يقفا هذا الموقف، وأن لا يجزما برأي في أمر هذه القصة التي رواها عن المتنبي جماعة من معاصريه، أكثرهم من خصومه وحساده الحانقين عليه، أو من ملفقي الأحاديث الذين ينقض بعض كلامهم بعضا، فلا يؤخذ مأخذ اليقين؛

---

(١) ينظر: المتنبي ص١٩٩ـ٢١٣.

(٢) ديوان المتنبي ص١٦.

(٣) يتيمة الدهر ١/١٤٢.

(٤) رسالة الغفران ص٤١٨-٤٢٠.

(٥) قتل المتنبي في رمضان ٣٥٤هـ، وولد أبو العلاء المعري في ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ.

إذ لم يثبت من إرهاصات هذه النبوة التي وسم بها الرجل شيء غير أنه حبس في صباه، وأنه كان يهجى بها في عصره. وليس كل ما يقرف به المهجو المحسود بحجة عليه"[١].

ولكن العقّاد لا يستبعد دعوى النبوة على المتنبي، ولا يجدها غريبة منه، ولو أنها ثبتت عليه لما رأى في ذلك ما يدعو إلى دهشة وغرابة، ويحمل على حيطة أو زيادة تنقيب. وله لذلك علل وأسباب وأمور. إلا أنه يرى أن غاية التحقيق في الأمر التوقف، وعدم الجزم برأي معين في القضية[٢].

ويذهب الدكتور مصطفى الشكعة معتمدا على بعض الأدلة إلى أن لهذا الخبر _أي: ادعاء المتنبي النبوة وتلقبه المتنبي لأجله_ حقيقة، ومن نظر في أدلته وقرائنه يظهر له ضعفها وعدم وصولها إلى درجة تؤكد هذا الخبر[٣].

والذي يظهر _والله أعلم_ أن الروايات التي وردت، والقرائن التي ظهرت في موضوع ادعاء أبي الطيب النبوة لا ترقى إلى درجة تأكيد هذا الخبر وإثباته؛ بل الناظر في كلام محمود شاكر سيضطرّ إلى القول بنفي ادعاء المتنبي النبوة، اللهم إلا أن تظهر في المستقبل أدلة أخرى وقرائن تؤكّد إثبات هذا الخبر _والله تعالى أعلم_.

- حبّ المتنبي لخولة أخت سيف الدولة الحمداني:

للحبّ أسرار وأستار، ورموز وإشارات، وأمارات وعلامات، ومهما كان الرجل كتوما سينكشف أمره إذا ابتلي بالحب، ولاسيما بالحب الصادق.

يقول المتنبي[٤]:

وإذا خامَرَ الهوى قلْبَ صَبٍّ ... فعليهِ لِكلِّ عيْنٍ دليلُ

وإذا نظرنا في كلام المتنبي وجدناه قد يتبرّأ من أن يكون عاشقا للغواني، حيث يقول[٥]:

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ ... أكُلُّ فصيحٍ قال شعرا مُتَيَّمُ

ويقول[٦]:

وللخَود مِنّي ساعةٌ ثُمّ بيننا ... فلاةٌ إلى غير اللقاء تُجابُ

وما العِشقُ إلاّ غِرّةٌ وطماعةٌ ... يُعَرِّضُ قلبٌ نفسهُ فيُصابُ

وغير فؤادي للغواني رميّةٌ ... وغير بناني للزُّجاجِ رِكابُ

---

(١) مطالعات في الكتب والحياة ص١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر: مطالعات في الكتب والحياة ص١٢١ وما بعدها.

(٣) ينظر: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين ٤٩-٦٣.

(٤) ديوان المتنبي ص٤٢٧.

(٥) ديوان المتنبي ص٢٩٠.

(٦) ديوان المتنبي ص٤٧٩.

تركنا لأطراف القنا كلَّ شَهوةٍ فليس لنا إلا بِهِنَّ لِعابُ
نُصَرِّفُهُ للطعن فوق حوادرٍ قد انْقَصَفَت فيهنّ منه كِعابُ
أعَزُّ مكان في الدُّنى سرجُ سابِحٍ وخيرُ جليسٍ في الزّمان كتابُ

ولا يكتفي بذلك، بل يضيف إلى ذلك تهكمه بمن يعشقون ويحبون، حيث يقول[1]:

مِمّا أضرّ بأهل العشقِ أنّهم هَووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عُيونُهُمُ دمعا وأنفُسُهم في إثر كلّ قبيحٍ وجهُهُ حسَنُ

ومع هذا فإنه ابتلي بهذا المرض ـ كما يراه الأستاذ محمود شاكر ـ، حيث ابتلي بحب خولة أخت سيف الدولة الحمداني.

ولقد جاء في شعره ما يشير إلى ذلك، كقوله[2]:

لعينيكِ ما يلقى الفؤادُ وما لقِي وللحبِّ ما لم يبقَ منّي وما بقِي
وما كنت ممن يدخلُ العشقَ قلبه ولكنّ من يُبصرْ جفونكِ يعشقِ
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى مجال لدمع المقلة المترقرقِ
وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصلِ صاحبُه وفي الهَجْرِ فهو الدَّهرَ يرجُو ويَتَّقي
سقى الله أيام الصبا ما يسرّها ويفعلُ فعلَ البابليّ المعتَّقِ
إذا ما لبستَ الدّهرَ مستمتعا به تخرّقتَ والملبوسُ لم يتخرّقِ

ولكنّ لما كان المتنبي كتوما، أنانيا، اختفى أمره حتى تلمسه الأستاذ محمود شاكر من كلامه، واستخرجه من أشعاره، وظلّ يبحث عنه بين السطور والفقرات، وبين التراكيب والكلمات، حتى أخرجه من مكنون نفسِ المتنبي، ووضعه أمام الناس حيا ملموسا.

ولا ندعي أنه مصيب فيما قال كلّ الصواب، ولكن القول فيه ما قال الأستاذ الرافعي ـ وهو يثني على كتاب المتنبي لمحمود شاكر ـ: "ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبي: سرّ حبه، فقال: إنه كان يحب خولة أخت سيف الدولة، وكتب في ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة، وكأنها لم ترضه، فقال: إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل في خمسين وجها من المقتطف، وهذا الباب من غرائب هذا البحث، فليس أحد في الدنيا المكتوبة ـ أي: التاريخ ـ يعلم هذا السر أو يظنه، والأدلة التي جاء بها المؤلف تقف الباحث المدقق بين الإثبات والنفي، ومتى لم يستطع المرء نفيا ولا إثباتا في خبر جديد يكشفه الباحث، ولم يهتد إليه غيره، فهذا حسبُك إعجابا يذكر، وهذه حسْبُه فوزا يُعَدُّ.

---

(١) ديوان المتنبي ص٤٦٨.
(٢) ديوان المتنبي ص٣٣٥.

ولعمري لو كنت أنا في مكان المتنبي من سيف الدولة، لقلت: إن المؤلف قد صدق... فهنال موضع لابد أن يُبحث في القلب الشاعر الذي وَضَعَتْ فيه الدنيا حكمتها، وطَوَتْ فيه القوة سرّها، وبثّ فيها الجمال وحْيَهُ، وأصغر هذه الثلاث أكبر من الملوك والممالك، ولكن الحبيبة أكبر منها كلها..."[١].

- مقتل المتنبي، وهل قُتل المتنبي لهجائه ضبّة العيني الأسدي؟

ذهب كثير من الباحثين إلى أن المتنبي قتل بسبب هجائه ضبّة العيني الأسدي بقصيدته التي مطلعها[٢]:

ما أنصفَ القومُ ضبّة   وأمَّـــه الطُّـرْطُبّة

حيث اعترض له فاتك الأسدي (خال ضبة الأسدي) في "دير العاقول" في نحو من عشرين أو خمسين فارسا، فقتلوه وابنه وغلامه وأخذوا ماله[٣].

وذهب بعض الدارسين إلى أن سبب قتله أنه لما أكرمه عضد الدولة على بعض قصائده دسّ له عضد الدولة بعضَ من سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال المتنبي: "إن سيف الدولة كان يعطي طبعا، وعضد الدولة يعطي تطبُّعا"، فلما انصرف من أرضه جهّز إليه قوما من بني ضبّة فقتلوه[٤].

ويذهب الأستاذ محمود شاكر مذهبا آخر، حيث يرى أن المتنبي صار ضحية للسياسة القائمة بين العلوية العربية وبين السياسة العلوية الفاطمية الأعجمية، وكذلك بغضه للقرامطة وكرههم إياه، وبحث من خلال الأحداث والقرائن وأشعار المتنبي هذه القضية، فوجد فيها أيادي كثيرة تبدو مشتركة في دم المتنبي، منهم: عضد الدولة، وكافور الإخشيدي، والقرامطة، وبنو أسد، وبنو ضبة[٥].

ومهما كان من أمر هذا البحث الجديد، ومدى إصابته الصدق والواقع، فإنه لا ينكر أنه بحث دقيق يستحق النظر، والتأمل، لعله يفتح لنا مجالا جديدا وأفقا آخر واسعا لبحث قضية مقتل المتنبي، صاحب الأسرار الكثيرة في حياته!!!

(يتبع)

***

(١) وحي القلم ٣/٣٥٠-٣٥١.
(٢) ديوان المتنبي ص ٥١٤.
(٣) ينظر: الصبح المنبئ ص ١٧٠-١٧٤.
(٤) ينظر: الصبح المنبئ ص ١٧٤-١٧٥.
(٥) ينظر للتفصيل: المتنبي ٣٨٧-٣٩٢.

التوجيه الاجتماعي

في زيارته للهند

إمام الحرم المكي يدعو المسلمين وجماعاتهم إلى التآلف ونبذ الفرقة

الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة، المشهور في أرجاء العالم بتلاوته العطرة للقرآن الكريم بصوته الندي الحلو، الذي يجذب القلوب والأسماع، وكذلك المعروف بخطبه حول موضوعات هامة، تهم الإسلام والمسلمين، يلقيها فضيلته بأسلوبه الحكيم، وبكلماته وعباراته البليغة المؤثرة، جزاه الله خيرا.

قام الشيخ مؤخرا بزيارة للهند، وقد زارها قبل ذلك بنحو ربع قرن أيضا، وهذه الزيارة الأخيرة استغرقت أربعة أيام تقريبا، كانت محط أنظار مسلمي هذه البلاد، وقد تشرفوا لأداء صلوات عديدة خلفه في أنحاء مدينة دلهي عاصمة الهند، وقبل ذلك بدار العلوم بديوبند أيضا، والشيخ بحكم منصبه العظيم ومسؤوليته العظمى خبير بأدواء المسلمين في العالم وكذلك خبير بعلاج هذه الأدواء من المنظار الشرعي، كيف لا، وهو ينتمي إلى بلد إسلامي يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرف علماؤه بعقيدتهم الصافية وتمسكهم التام بالكتاب والسنة، والشيخ يعتلي منبرا من أقدس منابر المسلمين، ويضع أنامله على مواضع حساسة للأمة، ويلفت أنظار مسلمي العالم إلى المكامن الخطرة ومواضع الضعف، وينادي بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه سلف هذه الأمة. وهو حينما يزور بلدا كالهند لا يخفى عليه وضع مسلمي هذه الدولة المنتمين إلى جماعات وتيارات متعددة، وإلى أفكار ونظريات مختلفة، مع دعوى الجميع بأن ما هو عليه هو الحق وهو عين مطلوب الإسلام. لا شك أن تفرق المسلمين – في كل مكان – إلى طوائف وجماعات متباينة متخاصمة يقلق كل غيور على الإسلام، ويؤلم كل محب للدين، وخاصة إذا كان هذا الاختلاف يخرج من اختلاف تنوع إلى اختلاف تخاصم، ويجد سبيله إلى القلوب.

هذه الحقيقة المرة كانت تشغل بال هذا الإمام الكريم وهو يزور هذه الدولة التي يتواجد فيها أكثر من مائتي مليون مسلم، ويعتبر تجمعهم هذا ثاني أكبر تجمع للمسلمين في العالم بعد اندونيسيا، على الرغم من أنهم يعيشون كأقلية في هذه الدولة البالغ عدد سكانها أكثر من مليار شخص، ونسبة المسلمين فيها نحو ١٥% حسب الإحصاءات الرسمية للبلاد.

قد قضى الإمام المكرم نحو أربعة أيام في الهند، كانت مشغولة باللقاءات والاجتماعات والنصائح والتوجيهات، يخرج من اجتماع إلى آخر ومن جلسة إلى أخرى، من غير ملل ولا كلل، ومن غير مبالاة بالراحة، يواصل ليله بنهاره، وقد بلغ من حرصه على تفقد أحوال العلماء والمؤسسات التعليمية والدعوية أن وصل في وقت متأخر من الليل بعد إنهاء برامجه المرتبة إلى زيارة أحد أعلام أهل الحديث في الهند الشيخ عبد الحميد عبدالجبار الرحماني – حفظه الله – وزيارة المؤسسة التعليمية التي أقامها الشيخ الرحماني في نيو دلهي. وعلاوة على هذه الزيارات واللقاءات كان يستقبل – في مقر إقامته بالفندق – الزوار ووفود الجماعات الإسلامية إلى وقت متأخر من الليل مضحيا براحته وطمانينته، جزاه الله خيرا.

وفي محاضراته وكلماته في المحافل والاجتماعات كان يركز – بتكرار – على ضرورة التعاون والتآلف بين الجماعات والجمعيات الإسلامية ونبذ الخلاف والفرقة، وينصح بأن لا يؤدي الخلاف القائم بين الجماعات إلى اختلاف القلوب والتفرق والتشتت. كان يتناول هذا الموضوع في كل كلماته وخطبه، وقد أشاد أصحاب الرأي في البلاد بهذا التوجيه، ودعوا المعنيين إلى الإصغاء إلى هذا النداء والنظر فيه بعين الجد والاعتبار، ومراجعة الأفكار والسلوكيات في ضوء ذلك، لأن الإمام المحترم لم يضطر إلى التركيز على هذا الجانب إلا لأنه لمس الحاجة إليه، وأحس بضرورة التنبيه إليه، ولا أرى أن أحدا من العقلاء يجهل مضرة الاختلاف ومغبة التفرق وسوء عاقبة التنافر والتدابر، فالدعوة إلى التآلف والتآخي إنما هي إيقاظ لهذا الشعور ودعوة لمراجعة النفس ومحاسبة الضمير، إن الخلافات القائمة بين العاملين في مجال الدعوة والإصلاح معظمها نحن في غنى عنها، والأمور المتفق عليها بين الجماعات أكثر بكثير من المختلف فيها، فلماذا يغلب جانب الاختلاف – مع ذلك – على جانب الاتفاق. وجو الاختلاف هو السائد دائما بين هذه الجماعات والحركات؟ ولماذا لا نفكر في نتائج هذا التفرق والاختلاف؟ ومن هو الكاسب من ذلك ومن هو الخاسر؟ ولماذا لا نجتمع حول مصالحنا المشتركة على الأقل إن لم نكن نجتمع حول جميع الأمور والمسائل؟

نحن أمة واحدة، ديننا واحد، وربنا واحد، وقرآننا واحد، ورسولنا واحد، وقبلتنا واحدة، فما مبرر هذا التشتت والتمزق والتفرق؟ إن قيادات الجماعات والحركات مطالبة بالإصغاء إلى نداء نبذ التفرق والعودة إلى التآلف، الذي أطلقه إمام الحرم المكي. إن الحرم المكي والكعبة المشرفة رمز لوحدة المسلمين، وإمام ذال الحرم وتلك الكعبة ينادي

مسلمي الهند وجماعاتهم بالعودة إلى هذه الوحدة، فلا ينبغي إلى الإسراع إلى تلبية هذه الدعوة والمبادرة إلى تحقيق هذه الوحدة.

وقد شاهد الجميع أن جموع المسلمين تتسابق لأداء الصلوات خلف إمام الحرم المكي أيام إقامته بعاصمة البلاد، غير مبالية باختلاف انتماءها إلى جماعاتها، وقد صرح الإمام المحترم بأنه لم يشاهد مثل هذه الجموع خارج المملكة. وحرصهم على اقتداء إمام الحرم في الصلاة واغتنامهم لهذه الفرصة من غير مبالاة بمسالكهم الفقهية وانتماءاتهم الفكرية دليل على أن رغبتهم في الاجتماع والتآلف قائمة، وأن جمعهم في رصيف واحد ليس حلما لا يتحقق.

ويجدر بالذكر هنا أن الشيخ السديس حفظه الله قد قضى وقتا في مجمع أهل الحديث بمنطقة أوكهلا بنيو دلهي أيضا، وألقى كلمة بعد إمامة جمع من المسلمين في صلاة العصر في مسجد المجمع، عبر فيها عن سروره بزيارة إخوانه من جماعة أهل الحديث، وألقى الضوء على ميزات هذه الجماعة وخصائصها في باب العقيدة والأحكام، وأشاد بجهودها في خدمة العقيدة الصافية والكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، كما نوه بالعلاقة الوطيدة القائمة بين المملكة المحروسة وبين هذه الجماعة عبر الزمن، وذكر أن هذه العلاقة ليست قائمة لمصالح مادية أو سياسية، وإنما يرجع سببها إلى الالتزام والعناية بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقيدة الصافية ومنهج السلف الصالح.

ولم ينس فضيلته في كلمته هنالك أيضا النصح بالتعاون والترابط مع الآخرين في الأعمال الدعوية والعلمية، وتقليل الخلافات، مذكرا أن الحرص على التآلف من أبرز معالم المنهج السلفي، وقد جاء في القرآن الكريم التنبيه إلى ذلك في قوله عز وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وفي قوله: (أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...).

اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، وانصرنا على عدول وعدونا.

(أسعد أعظمي)

***

العالم الإسلامي

جائزة الملك فيصل لعام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

أولا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هذا العام (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) منح الجائزة إلى دولة الرئيس عبد الله أحمد بدوي رئيس وزراء ماليزيا الأسبق.

ثانيا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في موضوع: "الدراسات التي عُنيت بالجوانب الاقتصادية الاجتماعية في العالم الإسلامي من القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري – التاسع عشر الميلادي إلى كل من البروفيسور خليل إبراهيم إينالجك (التركي الجنسية)، جامعة بلكنت ، أنقره. والبروفيسور محمد عدنان البخيت الشياب "الأردني الجنسية"، الجامعة الأردنية، عمان.

ثالثا: حُجبت جائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب لهذا العام في موضوع (الدراسات التي عُنيت باتجاهات التجديد في الشعر العربي إلى نهاية القرن السابع الهجري) لعدم توافر متطلبات الفوز بالجائزة في الأعمال المرشحة.

رابعا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للطب وموضوعها العلاج بالخلايا الجذعية) لهذا العام (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) مناصفة لكل من البروفيسور جيمس ثومسن الأمريكي الجنسية). مدير قسم البيولوجية التعويضية في معهد مورجريدج للبحوث بجامعة وسكنسن. والبروفيسور شينيا يماناكا (الياباني الجنسية). الباحث الرئيس في معهد جلادستون لأمراض القلب والأوعية الدموية في سان فرانسيسكو. ومدير مركز بحوث الخلايا متعددة الأغراض وتطبيقها في جامعة كيوتو، تقديرا لبحوثهما التي تميزّت بالأصالة والريادة في مجال الخلايا الجذعية.

خامسا: قررت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم منح الجائزة في موضوع (الكيمياء) هذا العام (١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م) مناصفة لكل من البروفيسور جورج وايتسايدز، والبروفيسور ريتشارد زير (الأمريكي الجنسية).

وتتكون الجائزة في كل فرع من فروعها الخمسة من براءة مكتوبة بالخط العربي داخل ملف من الجلد الفاخر. تحمل اسم الفائز وملخصا للإنجازات التي أهلته لنيل الجائزة. وميدالية ذهبية عيار ٢٤ قيراطا. وزن ٢٠٠ جرام. ومبلغ ٧٥٠,٠٠٠ ريال سعودي (ما يعادل ٢٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي).

(ينظر للتفصيل: "العالم الإسلامي" مكة المكرمة
العدد: ٢١٤٤، ٢٠ صفر ١٤٣٢هـ-يناير ٢٠١١م)

ركن الطلاب

أسرار الطهارة في الشريعة المطهرة

عبيد الله الباقي عبد السلام
السنة الثانية من الفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

لا يخفى على ذي علم وبصيرة أن الناس كانوا يعانون من مسائل مختلفة، ومصائب متعددة قبل طلوع فجر الإسلام، فأكثرهم لا يأبهون بالطهارة ولا يبالون بالنظافة، ولا يُعنون بها أي عناية ولا يلقون لها بالا، بل وهم يهيمون على وجوههم، لا يعلمون مقاصد العيش الحقيقي، ولا يعرفون حقائق الحياة الإنسانية، حتى طلعت شمس الإسلام بازغة من السحب المبلدة من الظلمة والضلال تشع أشعتها المضيئة، فنورت كل زاوية من زوايا السلوكيات الرفيعة، ووضحت كل ناحية من نواحي العمليات الأنيقة لجميع مجالات الحياة البشرية.

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد هذب المسلمين تهذيبا كاملا، وأدبهم تأديبا حسنا، وسدد أحوالهم كل السداد، وأصلح أمورهم كل الإصلاح، وأبطل العقائد الفاسدة، وصور العبادات الباطلة، وأرشد الناس إلى منهاج العيش الحقيقي، ووضح أمامهم أسرار المعاملات الإنسانية، وبين لهم حقائق الأمور البشرية، فمن تلك الأمور الهامة الالتزام بالطهارة والاهتمام بالنظافة، كما نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد الأمر بها تاكيدا بليغا حتى جعلها شطر الإيمان، ولم يكتف بهذا الأمر بل جعلها شرطا لصحة الصلاة سواء أكانت هي واجبة أم نافلة. "لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول".[1] وقد جاء القرآن الكريم بهذا الحكم كما قال الله جل وعلا: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنبا فاطهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون).[2] أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما يشرعه لكم من التوسعة والرأفة والرحمة والتسهيل والسماحة، وقد وردت السنة بالحث على الدعاء عقب الوضوء بأن يجعل فاعله من المتطهرين الداخلين في امتثال هذه الآية الكريمة.[3]

ومما يدل على أن الإسلام عظم شأن الطهارة ورفع أمرها بأنه يستحب السواك مع كل صلاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا أن أشق على المؤمنين – وفي حديث زهير، على أمتي –

---

[1] مسلم مع شرح النووي: (٢٢٤) كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة: ٢/٢٠٥.
[2] المائدة: ٦.
[3] تفسير القرآن العظيم: ١/٤٩٨.

لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".[١] والسر فيه أنه يذهب بالقُلاع (داء الفم) ويُصفّي الصوتَ ويُطيِّب النَّكهَة.[٢]

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عشر من الفطرة، قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال زكريا: قال معصب: نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة".[٣] والسر في ذلك أن بعض الشعور النابتة من جسد الإنسان يفعل فعل الأحداث في قبض الخاطر، وكذا شعث الرأس واللحية وليرجع الإنسان في ذلك إلى ماذكره الأطباء في الشرى (بثور حمر كالدراهم حكاكة مغطة) والحكة غيرهما من الأمراض الجلدية أنها تحزن القلب وتذهب النشاط، واللحية هي الفارقة بين الصغير والكبير وهي جمال الفحول وتمام هيأتهم، فلابد من إعفائها، وفي المضمضة والاستنشاق والسواك إزالة المخاط والبخر والغرلة عضو زائد يجتمع فيها الوسخ ويمنع الاستبراء من البول وينقص لذة الجماع".[٤]

وقد أمر الإسلام أتباعه بلبس الثياب المطهرة "وثيابك فطهر"[٥] قال الشوكاني رحمه الله في شرح هذه الآية الكريمة: "أي أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بتطهير ثيابه، وحفظها من النجاسات وإزالة ما وقع فيها منها".[٦]

وتتضح أهمية النظافة في الإسلام بأنه قد أمر أتباعه بأن لا يمس القرآن إلا طاهر، قال تعالى: "لا يمسه الا المطهرون".[٧]

وكذلك تتحقق أسرار الطهارة بإلقاء النظر إلى الحديث الذي ورد فيه النهي عن غمس اليد في الإناء بعد الاستيقاظ من النوم إلا بعد التطهر، "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده".[٨]

وهذا الدين المنزل من الرب العزيز الرحيم يأمر المسلمين بغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات، "طهور إناء كم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب".[٩]

ومما يبعث على العجب من المعترضين على خصائص الإسلام العالية، والمنكرين لميزاته السامية، وهم يقبلون الكلاب ويحتضنونها بكل رغبة ومحبة، فكيف يرتكبون بهذا الأمر المشين، ويحبون مثل هذا العمل الشنيع؟ ألا يرون أن بعض أطباء العصر قد بين أن في أمعاء أكثر الكلاب دودة شريطية صغيرة جدا، طولها ٤ ملي مترات، فإذا رأت الكلب خرجت البويضات بكثرة في

---

[١] مسلم مع شرح النووي: (٢٥٢) كتاب الطهارة، باب السواك: ١٤٦/٢

[٢] حجة الله البالغة: خصال الفطرة ومايتصل بها: ١٨٣/١.

[٣] مسلم مع شرح النووي: (١٦١) كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة: ١٥٠/٢.

[٤] حجة الله البالغة: خصال الفطرة ومايتصل بها: ١٨٢/١.

[٥] المدثر: ٤.

[٦] فتح القدير: ٤٢٢/٥.

[٧] الواقعة: ٧٩.

[٨] مسلم مع شرح النووي: (٢٧٨) كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضي وغيره يده المشكول: ١٨٤/٢.

[٩] مسلم مع شرح النووي: (٢٧٩) باب حكم ولوغ الكلب: ١٨٦/٢.

الروث، فيلصق كثير منها بالشعر الذي حول الدبر، فإذا نظف ذلك الكلب نفسه بلسانه تلوث لسانه وفمه بها، فإذا ولغ الكلب في إناء أو شرب ماء أو قبله إنسان علقت هذه البويضات بتلك الأشياء، وسهل وصولها إلى فمه أثناء أكله وشربه، فتصل إلى معدته، وتخرج منها الأجنة فتثقب جدر المعدة وتصل إلى أوعية الدم، فتحدث أمراضا كثيرة في المخ والقلب والرئة إلى غير ذلك.[1]

وكذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه"[2] والسر فيه أنه لا يخلو من أحد الأمرين، إما أن يغير الماء بالفعل أو يفضي إلى التغيير بأن يراه الناس يفعل فيتتابعوا وهو بمنزلة اللاعنين".[3]

وبالغ في ذلك حتى لو وقع من أحد التكاسل والتغافل في الاستنجاء لعذب عذابا أليما، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير!! أما هذا فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة".[4]

فهذه بعض أسرار الطهارة في شريعتنا الغراء وملتنا البيضاء، وما عدا ذلك كثيرة كثيرة يشتمل عليها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولو رحت أبينها أمامكم– ولست بمستطيع على تبيين الأسرار كلها–لطال المقال وضاق المجال.

إخواني في الإسلام! انظروا إلى الأزقة في بلادنا، تجدوا أن الأقذار فيها تطرح يمينا وشمالا، وإلى المنعطفات في مدائننا تجدوا أن الأوساخ فيها تنتشر هنا وهناك، ولا يلقى لها أي بال مع مرور جموع حاشدة على هذه الأزقة والمنعطفات ليلا ونهارا.

ألا ترون أن مثل هذه التصرفات القبيحة ليس لها سبيل في الإسلام ولا مجال، إن الإسلام لا يقرر هذه السلوكيات أبدا، بل يسد كل طريق يؤدي إلى هذه العادات الفضيحة!!

ويا أيها السادة المسلمون!! لماذا يكثر شكوى الناس يوما بعد يوم بأن أحياء المسلمين تمتلئ بالأوساخ؟ وكيف توجه إليكم مثل هذه الكلمات؟ وكيف تستحسن آذانكم الاستماع إليها؟ وإنكم مسلمون متبعو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تجعلونه قدوة في حياتكم وأعمالكم، وأسوة في أموركم وشؤونكم.

فحاشا وكلا!! إن مؤمنا صادقا لن يتخلق بمثل هذه الأخلاق الرذيلة، ولن يستحسن مثل هذه الأمور الفاسدة أبدا أبدا.

فيا أكباد الأمة الإسلامية!! تعالوا إلى أن نطهر قلوبنا، وأنفسنا، وأجسامنا من أنهار الإسلام التي ماؤها نقي، وبارد عذب، وليس مالحا ولا زجاجا، فإن المتطهرين هم محبوبون عند الله وعند الناس أجمعين: "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين" (البقرة: ٢٢٢) اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين.

***

[1] بلوغ المرام من أدلة الأحكام مع تعليقه اتحاف الكرام ص ١٣.
[2] مسلم مع شرح النووي: (٢٨٢) باب النهي عن البول في الماء الراكد: ٢/١٩٠.
[3] حجة الله البالغة، أحكام المياه: ١/١٨٣.
[4] البخاري: (٢١٨).

من أخبار الجامعة

● مشاركة وفد الجامعة السلفية في الندوة العلمية المنعقدة في دار العلوم الأحمدية السلفية بدربنجة بولاية بيهار:

عقدت المؤسسة التعليمية الشهيرة دار العلوم الأحمدية السلفية ندوة علمية بعنوان: "الإسلام والحقوق" في يومي السبت والأحد ٢٠ – ٢١ / ٤ / ١٤٣٢ هـ = ٢٦ – ٢٧ / ٣ / ٢٠١١ م، وبدعوة من منظمي الندوة شارك فيها وفد من الجامعة السلفية مكون من كل من صاحب الفضيلة الدكتور جاويد أعظم عبد العظيم ، رئيس الجامعة، وصاحب الفضيلة الشيخ عبدالسلام المدني، المدرس بالجامعة، وكاتب هذه السطور، وقد قام الدكتور جاويد أعظم برئاسة الحفلة الافتتاحية للندوة، وألقى الشيخ عبد السلام محاضرة في الحفلة الدعوية، وتشرف كاتب السطور بتقديم مقال في الندوة العلمية حول موضوع "الإسلام وحقوق الأطفال".

● وفد الجامعة السلفية في عاصمة الهند للترحيب بإمام الحرم المكي:

شرف فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، حفظه الله، إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة دولة الهند بزيارته الميمونة في الفترة ١٨–٢٢/٤/١٤٣٢هـ = ٢٤–٢٨/٣/٢٠١١م وتفضل بزيارة عديد من المراكز والجمعيات الإسلامية في دلهي وخارجها، منها جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وبدعوة من سفير المملكة العربية السعودية في نيو دلهي الأستاذ فيصل بن حسن طراد شارك فضيلة الأمين العام للجامعة السلفية الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد حفل الغداء الذي أقامته السفارة السعودية في أحد فنادق نيو دلهي على شرف الإمام الموقر. كما شارك الشيخ عبد الله سعود والدكتور جاويد أعظم وكاتب هذه السطور في الحفل المبارك الذي أقامته جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند في مجمعها بمنطقة أوكهلا في نيو دلهي للترحيب بفضيلة الإمام الموقر في يوم الأحد ٢١ / ٤ / ١٤٣٢ هـ - ٢٧ / ٣ / ٢٠١١ م ، وقد تشرف جمع كبير من المسلمين بأداء صلاة العصر في ذلك اليوم بإمامة الشيخ عبد الرحمن السديس، وبالاستماع إلى كلماته التوجيهية بعد الصلاة. وفي هذا الحفل الميمون قدم الأمين العام للجامعة السلفية كلمة ترحيبية مكتوبة إلى فضيلة الإمام المحترم حفظه الله، الذي سبق أن قام بزيارة الجامعة السلفية في عام ١٤٠٥هـ (الأعظمي)

***